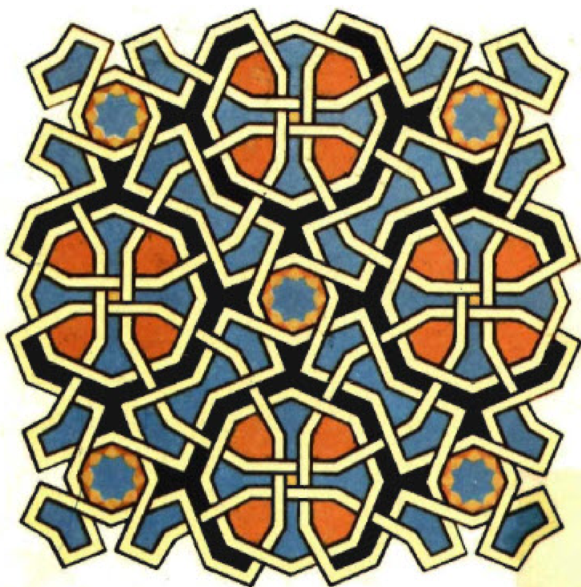
# تصوف التشيع

## نظرة إلى

## حياة السيّد حيدر آلاملى وعقايده

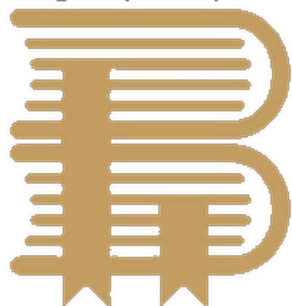


محمّد جواد گوهری

# تصوّف الشيعة

## نظرة الى حياة السيّد حيدر الآملي وعقائده

تأليف: محمّد جواد گوهري



اسم الكتاب: تصوف الشيعة.
(نظرة إلى حياة السيد حيدر الآملي وعقائده)
المؤلف: محمد جواد جوهري
الناشر: المؤسسة الدولية للمطالعات والابحاث الشرقية (مهر)
طهران ــ ايران ــ ص ــ ب ١٧٨/١٧٨٤٥
تاريخ الطبع: الطبعة الاولى ١٤١١هـ.ق ـ ١٩٩١م
النسخ المطبوعة: ٣٠٠٠نسخة
المطبعة: مؤسسة الطباعة والنشر ـ وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي



المؤسسة الدولية للمطالعات
والأبحاث الشرقية

## الفهرســت

# بسم اللّه الرحمن الرحيم

## المقدّمة

هذه مقدّمة للمقدمة، إذ من المقطوع أن موضوع حياة السيدحيدر الآملي وأفكاره أوسع حيطة وأبعد منالاً من أن يدركها مثل هذا الوجيز إلا أن هذا يأتي في إطـار جهـودٍ متواضعة للتعريف بأعلام ومعاريف إيرانيين خدموا الإسـلام وأخلصـوا للمسلمين ممّا شكل من مساعيهم دعائم متينة لصرح عظيم نسميه التراث الاسلامي، والذي تترامى أطرافه لتستوعب العالم كله.

كما أنّه توجّه إلى شخصيات لم يول بهم الاهتمام اللائق الذي يتلاءم وما قدمت أيديهم من خدمات جليلة وانجازات بارعة. ونحن في كل ذلك مدينون لعلماء أعزة،ظفرنا بأعمالهم العلمية القيمة هنا وهناك متبعثرةً في طيات الكتب وحناياها، فحاولنا من خلال تأمل آخر في آثارهم وتريث آخر في محطات كتب السيد ذاتـه أن نقـدم إلى القارىء الكريم نظرة أُخرى الى حياة الرجل وأفكاره راجين العلي القدير أن يسدد خطانا فيما فيه صلاح الاسلام وأهله.

وأخيراً أودّ لو أتقدم بشكري الجزيل إلى الاخ الإستاذ عباس خرم الذي عهدنا تشجيعه الشامل منذ البداية.

واللّه ولي التوفيق

محمد جواد الجوهري

# لماذا السيد حيدر الآملي بالذات؟

لماذا نختار بيـن اولئك الاعلام العظام السيد حيدر الآملي بالذات، لماذا هو دون غيره؛ فهؤلاء جميعاً يستحقون ان تتحرك الاقلام في رسم صور عن حياتهم والتي تبلور الحقب التطورية التي خلّفها القوم وراءهم ظهرياً، تلك الحقب التي أعقبتهـا حقبٌ أُخـرى وهي تحمـل في ثناياها نتائج التطورات السـابقة فهؤلاء جميعاً جديرةٌ حياتهم بالبحث والدراسّة اللّهم الآ أنّ ثمّةَ دافعين بعثا صاحب هذه السطور الى الكتابة عن السيد وهما كما يلي:[1].

اولاً ان دراساتي في غالبيتها تتركز على كل مايمّت بطريق او آخر بصلة الى العـرفـان الاسـلامي ـ او ما صح لدى بعض ان يسميه التصـوف الاسلامي ـ بحيث لايكاد يوسم ما خطه هذا القلم الآ بصبغة عرفانية تحكي قصةً من قصصه او معتقداً من معتقداته إمّا متمحضاً وبحتاً وإمّا في ضمن مجموعةٍ من الصور الأُخرى ألتي تأخذ بيد صاحبها لينتهي بالسير معه الى عوالم خارجيةٍ عن نطاق الطبيعة وما لمسته أصابع التمحيص التجريبي.

(١) لقد سمعت قبل مدة من الزمن أنّ إقبال المستشرقين الأوروبيين على آثار السيد كبير لما يجدون فيها من ميزات لايسعهم العثور عليها في آثار الآخرين. وأخيراً لفت أنتباهي ما كتبـه الاستـاذ هانري كوربن في تصديره لكتاب (نص النصوص) ينسب فلسفة (عالم ـ المثال) الى السيد مضيفاً بأن هذه النظرية تحظى بعناية فائقة لدى المهتمين بالفلسفة فان نظرية تجرد الخيال أو (الخيال المطلق) بلا شك من أهم القضايا المطروحة حالياً في فلسفة الغرب مّما يوحي إلىأن السيد في نظرالقوم مفكرٌ استطاع أن يتخطى هواجس الزمن فينتهي به المطاف أخيراً إلى نظرية تحتل مكانةً مرموقة حتى في فلسفة توسم بالعصرية والجدة.

وثانياً أنّه ممّن يجدر بهم ان يكونوا مطمح الاقلام المتطلعة ألتي تنظر الى آفاقٍ أبعد واوسع حيث يتسنى للانسانية أن تطير بجناحي الحرية والسلام بغبطةٍ وسرور، انّهم ليسوا أعلام العلم والثقافةِ فقط وانّما هم روّاد السيرحثيثاً نحو العود إلى الفطرة التي فطر الناس عليها، إنهم اولئك ألذين لم تقصر هممهم في درءِ أوطارهم الشخصية فحسب وإنّما حنّت قلوبهم على معاناة البشرية المستضعفة وألتي أوشكت توصف بأنها تعرت تماماً عن المواصفات التي تستأهل بها أن تحمل اسم البشر في فضائله وخصائله المتميزة.

وبما أنّ الطائفة الصوفية تعتبر من اوّل من نادوا إلى فكرة الصلح والسلام وإلى نبذ الخلافات والمجانبة لكل ما من شأنه ان يكدر صفو الخلّة او يشوب زلال الصداقة وبما أنّ القوم ـ بناءً على معتقداتهم المتميزة ـ لايرون الخلق الاّ تجليات الهية بدت حينما شاء الحق ان ينظر إلى نفسه في مرآة ذهبوا إلى أنّ الجميع يسبّحون بحمده ويقدسون له تقديساً ولو اختلفت طرقهم إلى اللّه بقدر تعداد أنفسهم وحالتئذٍ هتكوا حجباً قد حالت دون إبصار الناس ما رأوه حقائق ثابتةً، لكل هذا وذاك تتجلى اهمية البحث عن ثلّةٍ منهم دَعَوا إلى الاجتماع والتمحور حول محور واحد، دعواتٍ قد تعالت حتى ارتفعت إلى المستوى الذي سمع لها الكثير من ابناء البشر فاكتنفوا حول أصحابها ملتفين.

وامّا نحن فقد ارتأينا ـ في معرض احاديثنا عن أعلام الاسلام الايرانيين أن نتعّرض للبحث عن ترجمة أُناسٍ من الشيعة اصطبغت تعاليمهم بالوان التعاليم الصوفية كجماعةٍ يعز وجودهم حتى في تضاعيف كتب التاريخ وطيّاتها هذه والغرة قد كانت هي السبب في ان لم يول الاهتمام اللائق بهم فلم يكثر ذكرهم في مجالس الدرس ولا في حلقات التعليم الاّ قليلاً،

وان جرى لهم ذكرٌ انّـما حدث ذلك على ألسنة أناس متأثرين بالمفاهيم الصـوفية فارادوا اَن يثبتوا لهم (الصوفية) الأحقية فأتوا بأمثلة وشواهد من أظهرها وجود القوم دون أن يدخلوا في تفاصيل حياتهم ولامطاوي معتقداتهم وهكذا بقيت الحال حتى الآن. ومن هنا وانطلاقاً من مسؤوليةٍ نشعر بها تجاه القوم ألذين ـ كما وصفناهم سابقاً ـ بخعوا أنفسهم مضحّين في سبيل البشرية كاصحاب الحق الاوّل والاعظم علينا، آثرنا ان يكون السيد حيدر الآملي ـ كاحـد أبـرز هؤلاء الشخصيات ـ اوّل من نتكلّم عنه مرتجين أن تكون ترجمتـهُ اَبـرع استهلالٍ لسلسلة من البحوث المنصّبة في سياقٍ واحدٍ هو توحيد الصفوف عقائدياً وإني لأظن انّ من خير ما يمكن ان ينتهى به من هذا التمهيد ما يذكره السيد حيدر نفسه في كتابه جامع الاسرار ومنبع الانوار:

«وسبب هذا الالتماس منّي، هو أنّهم رأوا بعين بصيرتهم النافذة آثار نعم اللّه ـ تعـالى ـ وألطافه عليّ، باعطاء هذه المعارف والحقائق وشاهدوا بنور هدايتهم الحقيقية اَنـوار فيضانه وتجلّياته فّي بافاضته هذه المعاني والدقائق وعـرفوا كيفيه اطلاعي على أُصول الطائفتين وقواعدهم وعلموا (حسن مجموعيتي) بتحصيل قوانين الفريقين وقواعدهم. لاني من عنفوان الشباب، بل من اَيّام الـطفـولّية إلى يومنا هذا الذي هو ايام الكهولة، بعناية اللّه ـ تعـالى ـ وحسن توفيقه كنت مجداً في تحصيل عقائد اَجدادي الطاهرين الذين هم الائمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ وطريقتهم بحسب الظاهر ـ التي هي الشريعة المخصوصـة بالطائفة الصوفية من ارباب التوحيد وأهل اللّه ـ تعالى ـ والتوفيق بينهما ومطابقة كل واحدٍ منهما بالاخر، حتى تحققت حقيَّة الـطرفين، وعرفت حقيّة القاعدتين وطابقت بينهما حذو النعل بالنعل والقـذة بالقـذة وصرت كما صرت جامعاً بين الشريعة والحقيقة، حاوياً بين الظـاهـر والباطن واصلاً إلى مقام الاستقامة والتمكين، قائلاً قول من كان مثلـي من ارباب اليقين واهل التحقيق (اَلْحَمْدُ لِلّهِ ٱلَّذي هَدانا لِهذَا وَما كُنَّا

لِنَهْتَدي لَولا أَنْ هَدانا اللّهُ)[2] شعر:

كانـت لقـلبي أهـــواء مفـــرقـــة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصـار يحسـدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركـت للنـــاس دنـياهـم ودينهـم شغـلًا بذكـرك، ياديني ودنيائي»[3]

(٢) الأعراف، ٤٣.
(٣) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص ٤ و ٥ و ٦، قسمت ايران شناسي انستيوتو ايران وفرانسه، تهران.

# الهوة الوثائقية في حياة السيد وأفكاره

إِنّـه لمن الـطبيعي ان تتقـدم البحـوث التي تتنـاول ترجمـات وسير الشخصيات مجموعةً من الحقائق والوقائع الّتي شهدتها حياتهم العادية علماً بانّ شخصياتهم الفكرية فيما عدا القليل متأثرةً بمؤثراتٍ بيئيّةٍ اَحدقت بهم إجتماعياً وعائلياً و... وكذلك من الطبيعي اَن تصيب الدارس للشخصيات التاريخية التي تضرب جذورهم في أعماق التاريخ، ان تصيبه خيبةُ اَملٍ عظيمة لما يجده ملمـوسـاً من قلة الوثائق التاريخية التي هي ـ من جانب ـ يمكن التعويل عليها صحةً و ـ من جانب آخر ـ تعكس صورة متكاملة الأجزاء عن الحوادث التي تشهدها حياتهم بيد أنّ الذي يبعث على الدهشة ويثير الحيرة هو أن لانجد لمن ـ إن لم نقل عاصرناه ـ عاش في زمنٍ لانكون قد تناءينا عنه طويلًا بحيث قد يمكـن العثور على ترجماتٍ كاملةٍ ووافيةٍ لمن تقدموه بقرن او قرنين او اكثر لانجد له وثائق متينة. فهذه مصيبة قد ساهمت في خلقها قضـايا عدَّةٌ لايمكن الإستطراد إليها في هذا الوجيز ولكن عدم الاهتمام بالاحتفـاظ على التُراث الثقافي قد يشكِّل أهمَّ هذه العوامل، اذ اَنّا نلفي بوضوحٍ تامٍ اسماء كتبٍ الفها باحث في العصور الخالية ـ ممن كانت لهم القدم في إشاعة المعالم الثقافية ـ في طيات كتب اُخرى وثناياها غير أنا لا نكاد نثقف اَثراً منها في المكتبات العامرة القديمة والحديثة. فهؤلاء العظماء قد بذلوا غاية جهدهم في أَن لا تمنى الثقافة الاسلامية بثلمه عموماً وذلك عن طريق تأليف الكتب وتصنيفها ولكن التقصير كلُّه على عواتق الاجيال التي

تلتهم فلم تصن تلك المآثر والمآثير عن الضياع والزوال وامّا نحن فنستعرض أ برز أنموذجٍ لهذا الضياع هاهنا المتمثل في فقد آثارٍ تدل على حياة السيد الآملي ترجمةً لحياته وعكساً لافكاره على ماهناك من بقية فيها هدى للمسترشدين.

تلك آثــارنــا تدل علينــا فانــظرو بعــدنــا إلى الآثــار

# ميلاد السيد ومولده

لقد ولد الشيخ فـي سنة ٧١٩ للهجرة في مدينة آمل، الارض الخصبة التي يشهد لها التاريخ أنها أحتضنت أُناساً كثراً تبلورت فيهم العبقرية بكل أَنماطها ومن ثم لها على إيران الاسلامية حـق لايتغاضى عنه وفيها يتصل بهذه الولادة فلا نملك أية وثيقةٍ تهدينا إلى هذا التاريخ مباشرةً بيد أَن ثمة قرائن تأتي للدلالة على التاريخ الآنف الذكر، من أَقواها ما سجلته يمنى الشيخ نفسه في مقدمة كتابه نص النصوص وهو يقول:

«لقد انتهيت من هذا الشرح (الشرح على فصوص الحكم لابن عربي) في سنة ٧٨٢ وأنا في الثالثة والستين من عمري».

ومن جانب آخر، مّما يفهم من المقدمة ذاتها اَنّه طفق يهجر المشتهيات من المال والجاه وغيرهما في حوالي ٧٥٠ وهو في الثلاثين من عمره فالحاصل اَنّـه ولد حوالي ٧٢٠ وهذا تأكيدٌ لما اعتقدناه اولاً، اللّهم إلاّ اننا لايسعنا الانفلات من الصعوبات التي قد تشتّد علينا بين فينةٍ واُخرى في متابعة حياة السيد وغور وقائعها مّما يوحي الينا في كل آنٍ اَن الطريق ذات شوكة ولكنها يجبُ ان تسلك ولابّـد لنـا من مواصلَة السير قدر الامكان، فعندما نشعر بارتياح ازاء تحديد مطلوب لتاريخ ولادته نجد أنفسنا في حرجٍ فيها يتعلّق بالحـوادث التـالية لهذه الـولادة حتى الثـلاثين من عمره فيما عدا بعض اللمحات التي يوفرها السيد نفسه لنا في حنايا آثاره ونحن هاهنا ـ قبل البدء في سبك الحوادث ـ يجب ان نشير الى نقطة تستوحي اهتمام السيد البالغ بها

بحيث لا يغفل ذكره في موطن من المواطن فخوراً معتزاً.

# سيد من ذرية الرسول (ص)

انها نسبـه الذي يجعل منه سيداً من ذرية الرسول الأعظم ويمنحه الدوافع القوّية في الذّب عن معطيات هذا البيت الكريم كي يكون بطلاً من اَبـطال آل الرسول (ص) الألمعيين الذّين بخلقهم الملامح خولّوا التاريخ الـدلالات الجلّية بانهم هم كانـوا معـالم الحقيقة ونباريس الحق في طريق البشرية وامّا النسب ـ كما يذكره الرجل ـ فكما يلي:

«أَنا ركن الدين حيدر بن السيد تاج الدين علي بن بادشاه بن السيد ركن الدين حيدر بن السيد تاج الدين علي بادشاه بن سيد محمد أمير بن علي بادشاه بن أبي جعفر بن زيد بن أبي جعفر محمد بن داعي بن أبي جعفر محمد بن إبراهيم بن محمد بن حسين كوسج بن إبراهيم بن سناء اللّه بن محمد حرون بن حمزة بن عبداللّه الأعرج بن حسين الأصغر بن الامام علي ابن الحسين زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام»[1].

فثلاثون عاماً تمضي من عمره ونحن في حيرة عمّا كان الرجل يشغـل نفسه به فيها تفكيراً وممارسةً وانجازاً وقد لايكون ذلك من الغرابة بمكان فكما اَنّ السيد نفسه استطاع بفضـل ما ينعم عليه من منن الهية وآلاء ربانية أن يحظى بتميز كبير فكذلك هذه الحقبة الزمنية اَلتي تلي هذه السنين الثلاثين

(١) السيد حيدر الآملي، المحيط الأعظم، المجلد الآول، مكتبة آية اللّه النجفي المرعشي رقم ٣٠١.

تلقى اهميتها الممتازة لدى البحاثة عن سيرة الشيخ بيد أنّ سبك الآغوار التي شهدتها حياته والتي بلغت به اَخيراً شواطيء السكينة والاطمئنان الصوفية يتطلب أن ينظر إلى هذه الاغوار ككل مترابط الاجزاء لا يمكن أن يوعى جزءٌ منها الاّ باستيعاب الاجزاء الاُخرى بجانبها، فنحن نعلم جميعاً أنّ أناساً كثراً من عظام العلماء قد انقلبت حالاتهم بالكامل في فتراتٍ مزدهرة من الحياة لايكاد اَحدٌ يتصور الانصراف لهم من نعيمها وراحتها[1] هـذا ما جرى على الكثيرين من القوم على ما نعلم فابراهيم الادهم من اكثر المتقدمين في التزهد الصوفي والانصراف عن الملذات الدنيوية كان من ابناء الملوك يرتدي اللّين ويأكـل اللذيذ ويمشي في زهوٍ وافتخارٍ على أحسن المطايا ركوباً وأجملها مظهراً فاذا بهاتف ذات يوم يدعوه إلى الأوب إلى ما من أجله خلق، فنجده يهيم في البيداوات وعلى جسمـه المخلوق من الأردية ولا يأكل إلا ما يسد جوعه من حشيش الصحراء.

أو الغزالي ذلك الطالب الطموح الذّي حلَّف جميع أطوار الدراسة بطموحٍ وتطلع وراءَه ظهرياً والذّي نجده مرةً يجادل زملائه في نيسابور ليثبت مكانته الأعلى فيهم واستحقاقه لان يخلف استاذه إمام الحرمين بعده وأخرى في بلاطات الملوك ومجالس الخلفاء يبتغي من خلال إفحام الخصوم النيل إلى غاية المرام في نفوس القوم فاذا به وهو في ذروة ما صبت اليه نفسه طويلاً يحمل ما يزهو به كل أحدٍ من الالقـاب الكريمة كحجة الاسلام وإمام العراقين مشرفاً على الجوامع الاسلامية الكبرى آنذاك كلِّها، ينقلب على عقبيه مرتداً ليعود بعد اختفاءِه الطويل وهروبه من

(١) فهناك أكثر من شاهد للدلالة على حياة السيد المنعمة بالنعم والترفه فيما يخصه من كتب وآثارٍ، فهو في معرض الحديث عن بعض الملوك المكرمين له يقول:
«وحصل لي من الجاه والمال فوق التصور ببركة صحبتهم، وكنت كذلك في أرغد عيش وأطيب حالٍ، بين الأهل والأوطان والأصحاب والخلاّن».
وسوف نقص عليك الرواية بكاملها في الفصول الآتية باذن اللّه ـ تعالى ـ.

بغداد ليعود إليها صوفياً يتخذ من زاوية من الزوايا التي يأوي اليها المعتزلون معتكفاً له لا يبالي بما يجري الاّ بقدر ما يمّت اليه بصلةٍ قد يخل عليه هدوءَه الأَعز فاكثر ما يلهي باله في هذه الفترة تدريس الاحياء بناءً على طلبٍ ملحٍ من سكان الرباط. ثم يحلف ان لا يلازم الملـوك وأَصحاب السلطة حلفاً قد اَضطره الزمان أن ينقضه مرة محرجاً وهكذا نجده في جانب أُناس سلفت الإشارة إلى بعضهم يندهشون قبال الدنيا الماديّة وربّما ماضيهم وما قدمت ايديهم فيه.

ومن هذا المنطلق وعلمًا بما سبق، فلعل الذي يخيب أَمل الباحث في العثور على زوايا من حياة السيد لم تلق عليه اضواء الافهام والايضاح هو أَنّ الرجل ما كان ليرغب نفسياً في التحدث عن الماضي على ماهنالك من تكـريمـه وتبجيله لبعض ذوي السلطة الذين عاشرهم فترات من الزمن والاطراء عليهم. ولكن الذي يبدو لي وأَنا لا أَذهب إليه في إطلاقه كبعضهم أن الاستغراق في الملذات لاسيما للذي له قلب ويلقي السمع وهو شهيد قد لايشكل اِرضـاءً نفسياً كاملًا في معظم الاحايين ولربًّما هذا النداء اَلذي يرتفع عالي الصوت من باطن الانسان ليضجره ّمما يقترفه ذنباً داعياً ايّاه الى العود الى مامن اجله خلق، ربما ذا الذي عبّر عنه القوم بالهاتف، الهاتف الذي يباغـت المتأصل في فطريته ليخطفه من نفسه عروجاً به إلى السموات التي يتمنّى الصعود اليها الكثيرون فلا يتيسّر[1]. ولّما كان لصاحب الملذّات ان يتذوق جميع ألوان مايشتهيه الانسان فله اَيضاً اَن يدرك بانّ ثمَّةَ ظمأً فيه لا يروى الاّ بشـراب روحـاني في حانات التجرد. وكلّما زاد النفور من هذه

(١) فلربما يمكن القارىء أن يلمس بعض لمحات الإطلاق في نظرية (الإقتراف الأكثر يؤدي إلى التوبة الأحسن والتوجه الأفضل إلى الفطرة) اَلتي قد تذهب إلى أن الذّي تاب توبة نصوحاً عن ذنوبه قد ترتقي مرتبته على الذي لم يجترج ذنباً أصلًا. يمكنه أن يجدها في كتاب رابعة العدوية شهيدة الحب الإلهي للدكتور عبد الرحمن البدوي.

الملذات اشتد الحبّ للحوق بتلك الحانات(٢).

وعلى كل حالٍ ثمة أشياء يتناقل بعضهم عن بعض في تفاصيل حياة الرجل والّتي تعتمد أصلاً إلى مايذكره السيد نفسه في طيات كتبه وثناياها متفرقاً متشتتاً لايكاد يستجمعها الباحث الاّ بمشقة ولكن مجهودات مشكورة بذلها كلٌ من الاستاذ هانري كوربان وعثمان يحيى في مقدمتيهما على كتب السيد يعبد للسالك الطريق ويرفع عنه العسر فيما يتعلق بحياة السيد وتأليفه الاّ أنّ الغاية المنشودة ٱلتي يرمي اليها كل باحث متطلع وهو الحصول إشرافاً على جميع التفاصيل لا تفتيء تدعو المشتاقين، فهل من ملب؟ والله أعلم!

---

(٢) يقول الشاعر الشهير حافظ الشيرازي ـ رحمه اللّه ـ:

در انـــدرون من خســـتـه دل ندانـــم كيســـت
كه من خموشـــم او در فغـــان ودر غوغـــا اســـت

أو

فمـــن ذا في سويدائـــي أنـــا الأســـوان قلبـــي
أراني صامـــتـــاً وأراه يســـتـــعـــلي صداه

(الترجمة من الدكتور صلاح الدين الصاوي في كتابه ديوان العشق، ص ٢٧٤، الغزل ٢٢، مركز النشر الثقافي «رجاء»، ١٩٨٩)

# رجلٌ من مدينة آمل

فاوّل نكتة يجب ان يأخذها الباحث في تتبع سيرة السيد بنظر الاعتبار هو كونه آملياً، وآمل ـ كما اَسلفنا ـ منهض علماء كثر قد نال بعضهم حظه من الشهرة واَمّا اَهم من يقع الخلط بينه وبين السيد هو السيد حيدر بن علي بن حيدر[1] والذي ـ كما يبدو ـ هو السبب في هذا الخلط كون الاخير معاصراً للسيد اولاً وسيادته مثل السيد ثانياً، كما اَن صاحب رياض العلماء يفيدنا في ذلك بما نصه:

«السيد حيدر بن علي العلوي الحسيني الآمـلي المـازندراني الصوفي المعروف بآملي، كان من اَفاضل علماء الصوفية، وقد كان إمامي المذهب، واَعلم أنّ الآملي هذا غير الآملي الذي كان شارح القانون للشيخ الرئيس؛ بل قد يقال إنّه غير الآملي صاحب كتاب نفائس الفنون وغيره من الكتب. فلا تغفل وقد ذكره نور اللّه في مصائب النواصب وقال في مدحه: انّه من أصحابنا الامامية المتألهين، وإنّه السيد العارف المحقق الاوحدي واَنّه من علماء الشيعة وله كتاب جامع الاسرار وشرح الفصوص»[1].

(٢)(١) د. عبد الحسين زرين كوب، دنبالة جستجو در تصوف ايران، ص ١٤٨، الطبع الاَول، ١٣٦٢ هـ . ش ، مطبع سبهر بطهران.

(١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، قسم الإستدراكات، ٤٥، انستيتو ايران وفرانسه.

## كما أن المؤهلات الفطرية تصنع العظام

والسيد على أساس بعض التقارير ٱلتي قدمناها للقارىء المحترم ـ كما يبدو ـ كان ممن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد،اذ أنّه ما دامت هذه المواصفات غائبة عن ساحات الحياة الفكرية والروحية للشخص،فليس له أن يغضَّ الطرف عمّا تمليه إليه النفس ،فان توافرت الظروف وبدأت هذه الصفات حياتها من جديد واتخذت دورها في مسرح حياة صاحبها ـ فحينئذٍ ـ تتبلور الطاقات اللامتناهية متفجرة مضيئة، كما ان الآخرين ايضا مالم يعودوا إلى ماجبلوا عليه من خصائص روحية لم يدركهم التوفيق الالهي في السلوك الاّ اَنّ الذي يلفت النظر ويسترعي الانتباه هو اَنّ عدداً كبيراً ممّن آثروا الحياة الروحية النقية من الأرجاس والأدناس وعلى اَساس ما اَعربوا عنه هم اَنفسهم ماكانوا خلواً عن التأثرات الروحية حتى في تلك الحقب الزمنية ٱلتي ما كانت حالاتهم المعيشية وانغمارهم في الفساد أو على الأقل الحياة العادية لتوحي بشيء من الحالات الروحانية. فهذا هو **الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي** يثير اهتمام مشايخ عظاماً ملأت شهرتهم الدنيا وسار باسماء آثارهم الركبان وقد تضطر عظمته القوم الى الإفصاح عن اعجابهم وعجبهم تجاه طفل لايكاد يميز ـ على الظاهر ـ والذي يخرج عن مأزق الصعاب من المسائل العلمية ٱلتي طالما ٱستعصت عليهم بنجح[١]. أو **مولانا جلال الدين**

(١) الدكتور محسن جهانكيري، محي الدين بن عربي جهره برجسته عرفان اسلامي، ص ١٤، من منشورات جامعة تهران، الطبع الثالث. =

محمد البلخي ثم الرومي ذلك الذي يهرب من فتنة المغول ليسكن في ظل والده مأمناً يقيهم شر النهبة والقتلة، فينتهي بوالده السير الى نيسابور وهو آخذ بيد ولده الصبي فيبدو له أن يتبرك بزيارة شيخ نيشابور، عطّار ،صاحب منطق الطير فحين يبدأ تفقده فاذا بعطّار يتفرس في الطفل نوراً من العظم يكاد يشخص له البصر من شدة لمعانه فيهدي الى الطفل كتابه اسرار نامه موصياً والده به[1] وهكذا نجد الشيخ روزبهان البقلي يرى رؤىً غيبيةً ويسمع أصواتاً لايرى صاحباً لها فيعيش في حالات لايشعر بها الناس عادةً مما يجره أخيراً الى أن يترك الغالي والنفيس ليوثر العزلة والاعتكاف على الترفه والتعيش[2]. هذا إلى جانب ما ظهر عند الانبياء من تكلم الصبي في المهد وفي رحم أمّه والتمييز بين الرّمل والنار في بلاط فرعون إلى انشقاق صدر طفل يتيم ليودع فيه العلم الالهي، كلّها تأتي إشاراتٍ الى استعدادات مستودعة في اهل اللّه قد خصوا بها دون غيرهم.

«اعلم أني من عنفوان شبابي؛ بل أيام طفولتي إلى مدة ثلاثين سنةً او

= من المناسب للمزيد من الإطلاع الرجوع إلى هذا المصدر المحترم حيث يجد القارىء أنّه كيف صار بمستطاع الشيخ أن يجيب على أسئلة أشكلت على عباقرة مثل ابن رشد في فلسفته وتفكره وكذلك أنّه كيف كان أعضاء عائلة الشيخ الكبيرة ملهمين موهوبين وأن الشيخ نفسه نقل حكايات عن طفلة له تنطق بطلاقة وفصاحةٍ وتجيب على ما يقدم اليها من العويصات التي يعجز عنها الكبار.

(١) كليات شمس تبريزي، ترجمة مولانا جلال الدّين للاستاذ الراحل بديع الزمان فروزانفر، ص ٣٩، من منشورات دار أمير كبير للنشر.

وفي هذا اللقاء يخاطب عطار بهاء ولد والد جلال الدين بهذا الكلام:

«زود باشد كه اين بسر تو آتش در سوختكان عالم زند) ومعناه «سرعان مايزيد ولدك هذا المحروقة قلوبهم احتراقاً». ويعزو بديع الزمان سبب هروب بهاء ولد لمخاوف كان يشعر بها بعض الملوك الخوارز مشاهيين تجاه اقتداره ونفوذه وأيضاً مناوئته للامام الرازي استاذ الملك ورئيس الحكماء في عصره.

(٢) للمزيد من الإطلاع يمكن الرجوع إلى مقالة المؤلف في مجلة الأفكار الايطالية، رقم ١٠٢ صفحة ٣٥.

قريباً منها، كنت في تحصيل عقايد أجدادي المعصومين ـ عليهم السلام ـ من حيث الشريعة وطريق الظاهر المخصوص بالطائفة الإمامية من بين الشيعة حتى حصلت لبّها وخلاصَتها ومراتب العلوم المتعلقة بها من المنقول والمعقول على اساتيذها، بعضها في بلدي آمل الذي هو مولدي ومسقط رأسي ومسقط رأس آبائي وأجدادي في خراسان واستر آباد وبعضها في اصفهان وهذا كان في مدة عشرين سنةً، حتى رجعت من اصفهان إلى آمل مرةً ثانيةً».

# مكانة السيد لدى الحكام واستجلاء للموقف

وامّا هنا فنصل إلى موقف للتريث والتروي فيما ظفرت به اليد الفاحصة في التاريخ ونحن نبحث حثيثاً في ظلمات يغشا بعضها بعضا لايكاد الطرف يبصر اليد، باحثين عن شمعة تضيء لنا الدرب عسانا نهتدي إلى الحق سبيلاً فالشيء الوحيد الذي يأتينا امداداً ومساعدةً هو ما أُثر عن الشيخ المتمثل في بيان مكانته لدى الملوك فهو يقول: (وذلك بعد تقديمه عرضاً موجزاً لتطورات حياته العلمية في ايران وقبل البدء في السلوك).

«هذا كان في مدّة عشرين سنةً، حتى رجعت من اصفهان الى آمل مرةً ثانيةً واجتمعت بخدمة الملك العادل فخر الدولة بن الملك السعيد المرحوم شاه كيخسرو، طيب اللّه ثراهما وجعل الجنَّة مثواهما وخصّ الملك فخر الدولة بالكرامة والجلالة وجعلني من اَقرب اَصحابه وندمائه، ثم من اَخص خواصه، ثم من اَعظم نوابِّه وحجابه. وهم من أولاد كسرى و اَنوشروان إلى يزدجرد إلى برويز وجدهم القريب كان الملك اردشير بن الحسن بن تاج الدولة اَلذي كان ممدوحاً لظهير الدين الفاريابي و سراج الدين القمري وأمثالهم من الشعراء الكبار.

ومضت برهةٌ من الزمن على هذا، ثم طلبني الملك العادل، قهرمان الوقت، ملك الملوك الرويان، فخر الدولة شاه غازي ـ خلد اللّه دولته ـ اَلذي هو الآن موجود، وكنت في خدمته على الوجه المذكور وفي خدمة إخوته، الملك الأعظم جلال الدولة اسكندر ـ طاب ثراه ـ والملك المعظم شرف الدولة

كستَهم وطوس ملك ـ أَعـز اللّه أَنصـارهما ـ ومضت على هذا أَيضاً مدةً وحصل لي من الجاه والمال فوق التصور ببركة صحبتهم، وكنت كذلك في أَرغدعيش وأَطيب حال، بين الاهل والأوطان والاَصحاب والخلان. وٱستمر الامر على هذا المنوال حتى غلب في باطني دواعي الحق وكشف اللّه لي فساد ما أَنا فيه من الغفلة والجهل والنسيان».

هذه كلمات يردّدها السيد وهو يؤلف تفسيره العظيم المحيط الاعظم والذي كتبه السيد في وقت متأخر جداً من عمره ،ومن ثمَّ لايبقى لنا مناص ولا ذريعةكي نستمسك بهما كعروة في تبرير ما ذهب إليه السيد من الاطراء على اولاء الملوك والامراء الذين بمعاشرتهم ومخالفتهم ورّطوا السيد في ورطات هو أَعلن خشيته لها فيها بعد. والموضوع جدير جداً بالبحث والدراسة اذ أَننّا نحن في عصرنا هذا نشهد ثورات متوالية تتفجر هنا وهناك لتمثل نقمة الناس على ظلم الظالمين ونهب الناهبين فالأخلاق الثورية ماكان في وقت من الأوقات من شأنها أَن تأذن للثوار أَن يتعاملوا متعاطفين مع الحكام فعلاً وقولاً وفكراً بتسامحٍ ولين ،انّما يستوحى من سيرتهم أَنهم لايرون الثورة متجليةً في ذاتهـا إلّا اذا كانت تهدف اوَّلاً وأَخـيراً اقتـلاع الجذور المتجذرة للانظمة الحاكمة وللأشخاص الحاكمين ،قلباً لعلاقات الفساد واتياناً مكانها بما يصلح شأن المجتمع. فالعثـو في الأرض فساداً قد يشكل العامل الاهم في حدوث الثورات وٱلذي ينتج عادةً من فعل الحكام وما تجترحه ايديهم من الجرائم، المتمثلة في الإساءَةِ إلى الناس عموماً. وحتّى أَنّ الأمر قد بلغ حداً ذهب الكثيرون إلى أَن القوّة علةً لا ينفك عنها معلولها وهو الفساد كما أَنهمّ ٱنتحلوا عقيدةَ أَنّ الحكام كلهم فاسدون وبدأوا يتحركون من هذا المنطلق إلى وضع نظريات جديدة تبتنى على الأسس والأعمدة التي تتّفق ورؤيتهم الكونية .وعلى كل حالٍ فمثِل السيد حيدر الآملي في أقواله وكتاباته يتعرض لقدح القوم وطعنهم في حقِه كمدعٍ لنشر الرحمة الالهية الواسعة لأنه في الوقت ذاته يقوم

بمعاضدة الحكام والامراء بما يرشح من قلمه وٱلذي له دوره وتأثيره في مسارح المجتمع العامّة. وليس السيد الوحيد ٱلذي يجابـه هذا الاتّهام وانّما يشاركه في ذلـك عددٌ كبـير من الصوفية والغنوصيين الذّين آثروا في أغلب الحالات الصمتَ على الإنتفاضة والحركات المناوئة للحكومات.

الاّ اَننّا قد نضطر - فيما تقضي به الظواهر - اَن نعطي لمثل هؤلاء بعض الحق لتعبيرات أفصح عنها السيد وهي في غاية المبالغة بحيث قد لايوشك أن يصدق المصغي وصفه لحاكم من الحكام إلى أن يصف حاكمًا مخيلاً إليه أنّ هذا الوصف الجميل والثناء الحسن إنّما في حق حكيم من كبار الحكماء أو صوفي عظيم المكانة، ذاب في المجاهدات والرياضات الروحية والجسمية حتى فنى عن نفسه وبقي باللّه - تعالى - فبالحق يدرك وبه يبصر وبه يسمع فلنستمع إلى السيد وهو يقول:

«امّـا بعـد: فهذا كتاب موسوم بـ **نص النصوص في شرح الفصوص** مخصوص بمن يكون لخاتم الوجود من أعظم الفصوص ، جعلته هديةً إلى حضـرة السلطان العـالم العـادل والملك الفاضل الكامل، سلطان سلاطين العرب والعجم، مالك رقاب المـلوك وطوائف الأمم، المفتخر بذاته وجود سلاطين الوقـت وملوك الأنـام، المنتهـج بحسن أخلاقه وكمالاته خلفاء اللّه العظام وأنبياءَه الكـرام، ممهـد القواعد الدينية والقوانين الاسلامية على الطريق المستقيم، مرتب المـراتب النبـوية المحمـدية على النهج القويم، رحمة اللّه الواسعة ولطفه العميم على العالمين، ظل اللّه الباسط على رؤوس الخلائق أجمعـين، المنـوطـة بعلمـه وذكائه تدابير العلويات الأعلم فالأعلم، مجري الأحكام الشرعية على الخاص والعام، ناظم شمل المسلمين والإسلام على أحسن نظامٍ، مسيرّ الحاج الى بيت اللّه الحرام، حاوي الكلمات الانسانية صورة منـيرة، مجمـع الفضـائـل الخلقية علانيةً وسريرة، المتحلّي بالأنوار القـدسيات، المتجلّي بالتجليات الذاتيات والملكوتيات، الفائق على من له

التفوق في الآفاق، السابق على من له السبق على الكل بالاطلاق، المستغني عن الاطناب في الألقاب! بكمال ذات الجناب، مطاع ايران وتوران، صاحب قران الأدوار والأكوان،محيي دولة جنكيز خان!!!، انوشيروان الاوان، اسكندر الزمان! رافع راية العدل والأمان، خافض غواية الظلم والعدوان، السلطان بن السلطان، القان بن القان، الممنوح بعناية الرحيم الرحمن، سلطان أحمد بهادرخان بن تيمورخان، خلّد اللّه ملكه وسلطنته وأبّد سطوتَه وخلافته ولا زالت الاقدار جاريةً بمراده ..

سلطان عصرٍ اذا عمّت مواهبه
تعذر الاجودان البحر والمطر
وإن بدا رأيه أو حد عزمته
تأخر الماضيان الشمس والقمر»

لا، ليس كلام السيد ينتهي مدحاً هاهنا وإنّما له ذيلٌ هو الدليل الاوضح لما أُشير اَعلاه ،ولكن فلنمكث قليلاً في هذه المحطة بالذات لنبدأ بالاستماع إليه ونحن قد استعدنا اَنفاسنا واَخذنا الاهبة للاستمرار في متابعته.

«وهو ٱلذّي جمع اللّه له بين الحكمة والسلطان، وزاده في كمال العلم وعلو الشأن وٱلذي فاق ملوك الآفاق بعلو القدر وكمال الفضل، وٱفتخر على ساير السلاطين بجودة الرأي ورزانة العقل، بوجوده زينّت السلطة والخلافة وبذاته تحققت الدولة والرياسة، اليه سلم الدهر نواصي أرباب السيف والقلم وبه شرفت الكائنات بعد ظهورها عن العدم، كان فيه نزل مانزل في كتاب اللّه الكريم

﴿إِنَّ اللّهَ ٱصْطَفاهُ عَلَيكُمْ وَزادَه بَسْطَةً في العِلْمِ وَالجِسْمِ وَاللّهُ يُؤتـي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَاللّه وَاسِعٌ عَليم﴾ وكأنَّ اليه أشارَ بقوله تعالى: ﴿ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ

يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظيمِ﴾[1].

وهذه هي العلامة الصحيحة لحصول الخلافتين. وهذه هي الأمارة الكاملة لتحقيق الرياستين، لازال سلطاناً في الدنيا والآخرة بمن له الدنيا والآخرة، مستنداً في مسند الخلافة والولاية بمن أعطاه الخلافة والولاية. حتى لايبقى لاعدائه وحساده وجودٌ الّا في الوهم والخيال كعنقاء مغرب والغراب الأبيض المضروبة بها الأمثال. ومن ذلك عدموا حتى كان لم يكونوا في الوجود اصلاً ورأساً، ونقلوا إلى عالِم ليس للوجود فيه أثر لاعقلاً ولاحساً.

أبكى وأضحك خصمه ولَيّه
بالسيف والقلم الضحوك الباكي
الدرّ والدريّ خافا جوده
فتحصّنا بالبحر والأفلاك
أردت له مدحاً فما من فضيلةٍ
تأملت الأجلّ عنها وقلّت
عُقم النساء فلم يلدن بمثله
ان النساء بمثله عقيم»[2]

— نعم لاتزال كلمات السيد مستمرة والباحث يسعه الرجوع إلى المقدمات

(١) الجمعة، ٤.

(٢) السيد حيدر الآملي، نص النصوص في شرح الفصوص (المقدمات)، القسم الأوّل (الإفتتاحيات)، ص ٥ كنجينه نوشته هاي ايران شمارة ٢٢، انستيتو ايران وفرانسه، ١٩٧٥، تهران .

ونحن نذكر هنا أشياء أخرى تنطوي على دلالات أوضح في هذا النص:

«لأنه باتفاق أهل الحل والعقد وأرباب العقل والنقل وإجماع أفاضل الدهر من أرباب العلم وأهل الفضل بعد بلوغه الى غاية درجة السلطنة والخلافة ووصوله إلى نهاية مرتبة العظمة والجلالة... بلغ إلى مقام صدق عليه أنه حكيم كامل محقق، ووصل إلى مرتبة وافق فيها أصحابها أنّه عارف واصل مكمل، وتقرر بين أهل الحكمة وأربابها أنّه من أعظم الواصلين إلى قواعد الحجج والبرهان، وتحقق بين أهل اللّه وخاصته أنّه من أكمل الفائزين =

من نص النصوص . وامّا الذي يبدأ بجولة بسيطة في هذا القسم من كلمات السيد فلايرى مناصاً إلّا الاعتراف بانّه مبالغة ما أشدها وما أعظمها لمجموعة من الأسباب نعدّها عليك، ايها القاريء الكريم، اسباباً قد تكون تلمستها، بعضاً أو كُلًّا بقراءتك للنص السالف، ونحن أيضاً قد ننغمر في عجب

= بكمال الكشف والعرفان، وثبت أن إليه تسند العلوم الشريفة اللدنية الإلهية، والى جنابه تنسب الحقائق الحكمية العقلية البرهانية، وأنه المتصف بالفضائل النفسانية الحقيقية بالمواهب الأزلية وأنه المنعوت بالكمالات الكلية الانسانية بالعطايا الأولية، وأنّه ألذي كشف القناع بذكائه الفطري عن وجوه الأبكار الكشفيات ورفع الأستار بصفائه الجبلي عن جمال المخدرات القدسيات بعد أن لانت له صعاب العلوم العقلية البرهانية من غير جدٍ ولا أجتهاد ودانت له رقاب الاقسام العربية بالطوع والإنقياد وأنفتح على قلبه أبواب مفاتيح الغيب من عالم الملكوت وحصل له الاطلاع على معالم التّنزيل من حضرة اللاهوت، وصار كشاف كشاف الحقائق الكلية من المعضلات. ومفتاح مفتاح الدقائق العقلية من المشكلات.

مع أنه كان فارساً في ميدان التجريد و الشفاء و الإشارات فائزا بها في ضمن الفصوص والنصوص و الفتوحات، جعله اللّه ـ تعالى ـ من الراسخين في العلوم الحقيقية والمعارف اللّدنية، ومن الواصلين إلى أعلى الحضرات العلوية، لأنه أهل لذلك بالاستعداد الفطري والصفاء الجبلّي ومحل لأمثاله بالاستحقاق الذاتي والعطاء الألهي.

والحق أن مثل هذا الكتاب الشريف العظيم الشأن الوارد على قلب عبده الخاص الذي هو أشرف نوع الإنسان ومشحون بألطف الأسرار الإلهية وأنفس المعارف الربانية، المملوء بأحكم القواعد النبوية وأنفس الأوضاع المصطفوية، الجامع للحقائق والمعارف الذوقية الشهودية، الحاوي للرموز والدقائق الغيبية المنسوب إلى مهبط وحي اللّه ومحل أسراره المضاف إلى معدن علم اللّه ومنبع أنواره، لايليق الاّ بمثل هذه الحضرة الشريفة العليا، ولا يناسب إلّا مثل هذه السدة المنيعة العظمى، نفعه اللّه به وبأمثاله كثّيراً، فانّه مستحق لذلك. رزقنا من فضله وإنعامه ما نستحقه، فانّه لازال كذلك.

لهُ أيادٍ عليّ سابغة ... أعدّ منها ولا أعددها
هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق اللّه صاحبه

فالمسؤول من نظر الشريف ولطفه العام أن ينظر إليه نظر العناية، كما هي عادة الكرام لتحصل بذلك لصاحبه جميع المطالب والمرام، ويبقى ذكره كذكره؛ على وجه الدهور =

ازاء مانجده أمامنا واضحاً وجلياً من مضي السيد قدماً في المدح والثناء على من بخسه التاريخ حقّه في الشهرة وذياع الصيت لما أحرزه من جميل الأوصاف وكريم الأخلاق والولاية الكاملة ـ ان صحت كلمات السيد فيه ـ ولكنّنا لانظن التاريخ على جميع علاته مقصراً في هذه الحالة وإنّما نظن الرجل لم يخول من الأهلية حظاً يخلق له مكانة ممتازة في التاريخ.

وعلى أي حال ونحن في معرض دراستنا لحالات السيد ومعتقداته ،نعلق على الاطراءة المذكورة أعلاه ملاحظات كالتالي:

١) تغاضياً عما يستحسنه الآخرون من صفات كشجاعةٍ وعدلٍ وسخاءٍ و... فالسيد كما ألمحنا سابقاً وسوف نتعرض له لاحقاً بالتفصيل،يجب ان يختلف عنهم اختلافاً جوهرياً يتمثل في استياءه لما عند القوم من المبعدات عن الحياة المتعالية، فمن جانب نجد أنّ من الثابت في علم النفس أنّ المجرم ينفر من المكان الحادثة فيه الجريمة ،محاولاً الابتعاد عنها قدر المستطاع ونحن ان لم نتهم الرجل بالإجرام فيما عملت يداه حالة رياسته الاّ أنّه نفسه لا يخبيءُ استياءه ازاء تلك الحياة المترفة التي طالما حبسته عن التّوجه المنفتح نحو العوالم الأُخرى فالعجب كل العجب أن نلفى الرجل وهو في

= والأعوام؛ بل ويفتخر بذلك على كل من في العالم من نوع الإنسان، ويصير بذلك عند الكل جليل القدر، عظيم الشأن.

والاعتماد في ذلك كله ليس إلاّ على الكريم المنان، لأنه ألهم للخير والصواب وعليه الوثوق والتكلان.

من استعان بغير اللّه في طلب فانّ ناصره عجز وخذلان

ونحن ذكرنا النص بكامله إتماماً للفائدة

(السيد حيدر الآملي، نص النصوص، المقدمات (الإفتتاحيات)، كنجينة نوشته هاي ايراني، شمارة ٢، انستيتو ايران وفرانسه ص ٦ ـ ٧ ـ ٨).

الستينات من عمره ينتهز الفرصة كي يسهب القول في مدح حاكم من الحكام.

٢) على مانذعن للرجل من عليّ المكانة وعظيم الفضل في التعريف باوليات التصوف وذاتياته مطابقةً لمذاق الشيعة ومشربها الاّ أنّنا في مقتطفاتِ من هذا الحديث لانكاد نصدّقه ،خصوصاً هو بالذات ،وهو يقول بعد تعداد مجموعةٍ من فضائل ممدوحه:

«المستغني عن الإطناب في الألقاب بكمال ذات الجناب»

٣) في لمحة أُخرى يقول:

«إليه سلَّم الدَّهرَ نواصي ارباب السيف والقلم»

نعم ساغ عند المسلمين الإعتقاد بالقضاء والقدر عامةً وفي مختلف التصورات لدى النحل المختلفة خاصةً الاّ أن الدهر ـ على مايبدو ـ لم يخول أي دور ملحوظ في النظريات الأسلامية ولم يعهد أيضاً أن يعبرَّ عن مبدأ العالم أو مسيره بهذه الكلمة فمن الطبيعي ان تحل محلها من الغرابة في نفوسنا ولاسيما أنها صادرة عمّن نكنّ له فائق الاحترام لما قدّمه إلى عالمي العلم والانسانية من خدمات لائقة. ومن جانب آخر لو أقررنا رسمياً بان الدَّهر أو القاسم للمقدرات، اياً كان، هو المعطى لنواصي أرباب القلم وأرباب السيف إلى أرباب السلطة فماذا بعد ذلك؟!.

٤) والذي يثير الدهشة ويبعث على حالات تفوق التعجب والاستغراب بكثيرٍ أن نجد مسلمًا ايرانياً يمضي في المدح لحفيد من أحفاد رجل لم يجر إلى هذه البلاد إلاّ الخراب والدمار ولم يرفع فيها إلاّ الويلات وزد على هذا أنّه لم يجتز بما قاله في هذا الحفيد وانّما فضلّه لكونه حفيداً للرجل ومحيياً لسلطنته والذي يستحق به الثناءَ المتضاعف، من ذلك الرجل؟ وهل هو ممن تنساه ايران او ينساه الايرانيون او فقل العالم الاسلامي بأسره؟ كلاّ فجرائمه العدوانية الوحشية أفظع في النهب والدّمار من أن تنسى وأكثر من

أن تحصى فهو يذكر بسوءٍ مادامت ايران ومادام الايرانيون، لأنَّه هدم لهم كلّ شيءٍ فلم يبق ولم يذر، نعم انه جنكزخان ابو الْجناة وقدوة المجرمين، النقطة الشوهاءِ في تاريخ البشرية ٱلذي تحرك معاكساً لمسيرة التاريخ التقدمية فلم يرد بالمعطيات البشرية ولا الانجازات التطورية الباهرة الاّ الزوال والضياع.

٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[١]

آية قرآنية من الآيات المتلمعات الأُخريات اللاتي يسلطن الاضواء على حقائق كونية تسود هذا العالم وتعكس الوقائع التاريخية بصحةٍ لايتخلّلها شك ولاينفذ اليها ريبٌ عبرةً وموعظةً للمؤمنين. موسى كليم اللّه هو تلكم الشخصية العظيمة التي يتحدث عنها اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية الكريمة بناءاً على التفاسير والمرويات، ذلك ٱلذي بلغ من مراتب القرب والتدني مقاماً شاءَ أن يرى اللّه فتجلى له تكريمًا على الجبل فاندك فخرّ صعقاً، نعم انّه من كلَّمه اللّه وأنَّه للذي لم يلبس الاّ البسيط من الثياب وعاش متواضعاً بعيداً عن الترف في الحياة وهو يكافح الطواغيت بكل كيانه ٱلّذين ٱدعوا أنهم آلهةٌ دون اللّه وهذه قضيةٌ نجد السيد يوافقنا فيها مخالفاً لمذهب ابن عربي القائل ببراءَة فرعون في شانها ولكنّا في حيرة من أمرنا أَنقبل الاصل النظري الذي يفاتحنا السيد به أم ٱلذي نراه جلياً امام أعيننا فلنرجع الأمر اليه ـ تعالى ـ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ﴾

٦) ليس السيد حيدر الآملي الوحيد الذي يذهب إلى أنّ الولاية أنفس الاشياء وهي مرتبة لايستطيع العلو اليها الاّ من شملته العناية الربانية وأخذَ حظَّه الكامل من الاستعداد المودع فيه والذي يقتني حصَّتَه من الكمال تبعاً لكمال الاسم الالهي الذي به يوجد وكلّما كان ٱستعداده للوصول إلى الكمال

(١) البقره، ٢٤٧.

أوفر كان أقرب إلى تصدي المهمّة الالهية وأيضاً حمل الأمانة ٱلتي أشفقت السموات والأرض أن يحملنَها فحملها الإنسان، إذن فلايجوز لكل أحدٍ أن يتظاهر بانّه ولي كما أنَّه لايجوز أن تنسب الولاية إلى كل أحدٍ سيّما اذا كان ممن ساء فيهم الظن وامّا نحن مرةً أخرى لانخفي عجبنا فيما ينسبه السيد إلى هذا الحاكم من مقام الولاية ولعلّه كان وليّاً واللّه أعلَمُ بالصواب.

بعد إبداء هذه الملاحظات، بودّي لو أُضفي إلى هذه القضية قضيةً أُخرى وٱلتي قد تظهر مضادة لما ذهبت اليه الآن وهو أنّي قد أُقدر لأولئك العرفاء (المتصوفة) أعذارهم في مدح الحكام والثناء عليهم لضرورات زمنيةٍ تقتضيهم أن يتعاملوا معهم هذه المعاملة بيد أنّي لاأرتأي الجواز لجميع أنماط السلوك الخضوعي تجاه الحكام[1] وذلك فيما يتّصل باستيحاء الناس وفهمهم الايجابي من تصرفات الشيوخ والعظماء فهؤلاء الطيبوا النفس لو ألفوا

(١) ونحن لانحتاج هنا إلى الإستشهاد بكلمات الآخرين وإنما الإمداد يأتينا من قبل السيد نفسه حيث يقول:

«أعلم ـ أيدك اللّه ـ أنا روينا من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبيطالب عن رسول اللّه (ص) أنه قال: أهل القرآن هم أهل اللّه وخاصته. وقال ـ تعالى ـ في حق المختصين من عباده: ﴿إنَّ عِبادي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلطان﴾ فكل عبد الهي توجه إليه حق من المخلوقين، فقد نقص من عبوديته لله ـ سبحانه وتعالى ـ بقدر ذلك الحق.

فان ذلك المخلوق يطلبه بحقّه وله عليه سلطانٌ به، فلا يكون عبداً محضاً خالصاً لله. وهذا هو الذي رجح عند المتقطعين إلى اللّه انقطاعهم عن الخلق، ولزومهم السياحات والبراري والسواحل والفرار من الناس والخروج عن ملك الحيوان فانهم يريدون الحرية من جميع الأكوان انتهى».

(السيد حيد الآملي، نص النصوص، المقدمات، ص ١٤٠، كنجينة نوشته هاي ايران ٢٢ وبعناية أنستيتو ايران وفرانسه، تهران ١٩٧٥).

شيوخهم سائرين على منهج محدّد فلايرون لأنفسهم صواباً الاّ الاقتداء بهم أُسوةً ،فمن ثمّ إن آدّت طريقة الشيوخ إلى اَعوجاج الناس العقائدي ـ ولو صحت نوايا الشيوخ واعمالهم ـ فليس أمامنا الاّ مجابهة الناقد المتبصر الناصح للنّاس واللّه هادي السبيل.[1]

(١) فيما يتصل بالتعامل مع الحكام وكيفيته، لنا دراسةٌ في الفارسية وآلتي تتناول خاصة موضوع علاقات حافظ الشيرازي مع حكام عصره، نشير هنا إلى بعض معالمها بايجاز والتي نتصورها عميمة في موضوعها بين عدد كبير من المتصوفة:

أوّلا إنّ حافظ ماكان ليستنكف عن الإطراء على الحكّام إطراء فيه بعض المبالغة، فمثلاً يقول:

اي صبا باساكنان شهر يزد ازمابكو
كاى سرحق ناشناسان كوى جوكان شما
حتّ عنا، ها صبا سكان يزد، بلغي
يارؤوس منكريكم كُرَةُ الصولج حال
كرجه دوريم از بساط قرب همت دور نيست
بنده شاه شمائيم وثناخوان شما
نحن اذ ينأى بساط القرب، أدنى همةً
ومريدو «شاهكم» نتلو ثناكم للسماك
اى شهنشاه بلند أختر خدا را همتى
تاببوسم همجو كردون خاك ايران شما
إي شهنشاه السعيد همة للّه لاثم
في الإيوان كالنجم تراباً في حماك
وفي موطن آخر يشير إلى إخلاصه لهم:
ولا طمع مبر از لطف بي نهايت دوست
جولاف عشق زدي، سر بباز جابك وجست
ياقلب لا تيأس فخلك لاحدود للطفه
ما تدّعى عشقا فرأسك طائعاً قربى على النور
وإذا سمعت كل هذا وأنت أمام انسان ملهم فانٍ عن هذه الدنيا فلا تكذبّه:
جوبشنوى سخن اهل دل مكوكه خطاً است
سخن شناس نه اي جان من سخن اينجاست

ابو حامدٍ الغزالي قد يكون من ابرز القوم في الاباء ومما ينقل عنه أنّه حينما رفض دعوة الملك سنجر حاكم وقته وجّه إليه رسالةً يخاطبه فيها معتذراً:

تحاش حديث القلب لاتزعم خطاه
فما أنت خبير، والخطا حقاً هناه

وهو أكرم من أن يدعنا وأفكارنا نغرق فيها بحثاً عن إجابة مقنعة عن هذا التساؤل ففي ثلة من أشعاره يلوح أن الطمأنينة والسكينة تخلقان للسالك جواً مناسباً لمتابعة السير ومواصلة الطريق وليس يوفرهما من الحكام إلاّ من هو أعدل وأرحم لحال الرعية وأقل عتوّاً في الأرض فساداً فحيثما لايتأتّى لكلّ أحدٍ أن يقلب نظام الحكم بسهولة - وإن قلبه فلا بديل صالح - فلينتهز وجود حكام كشاه شجاع الأعدل ومن ثم يهنئه الشاعر حين عودته مظفراً إلى شيراز بعد تحمل نكسات فيعبر شاعرنا عنه بالساقي:

ساقيا آمدن عيد مبارك بادت وان مواعيد كه كردى مرواد ازيادت

أيا ساقي أتى العيد، تباركت باعيادك
فلا تذهب من بالك، مبرورات ميعادك

درشكفتم كه دراين مدت ايّام فراق بركرفتي زحريفان دل ودل مي دادت

أنا في حيرة من أنّه في وقت فرقتنا
قصرت القلب عَنا، فارتضى طوعاً بابعادك

شادى مجلسيان در قدم ومقدم توست
جاى غم باد مرآن دل كه نخواهد شادت

وفي قدم يطل ومقدم فرح لمجلسنا
ألا ساء الذي لايشتهي أفراح إسعادك

شكر ايزد كه از اين بادخزان رخنه نيافت
بوستان سمن وسرو وكل وشمشادت

شكرت اللّه، لم يلق الخريف بسطوه بداً
إلى بستانك المزهر في أحضان (شمشارك)

جشم بد دور كزآن تفرقه باز آورد
طالع نامور ودولت ما در زادت =

«لقـد عاهـدت اللّه وأنا عند مشهد الخليل (ع) أن لاأقبل على أي ملك ولاآخذ منه مالاً ولاأتعصب له» فطلب من سنجر أن يعفيه من اللحوق بالبلاط لئـلا يضـطر لنقض الميثاق مع اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ وهو لايكتفي بهذا فحسب وإنما يتوجَّه إلى أصحاب السلطة ليخاطب خازن الملك المقتدر سعادة منذراً ايَّاه يوماً لايغيثه فيه لاملك المشرق ولاوزيره «لحاجتهم هم إلى ألف مغيثٍ»[1] أو في رسالة أُخرى له إلى معين الملك الوزير ينهاه عن تعاطي الخمـر مذكّراً إياه بانَّ أمر السلطان ليس عذراً مسموحاً به له عند اللّه ـ تعالى ـ وهو نفسه يتوجَّه إلى وزير آخر ليذكره بانّ الّذي (عاون الظالم ولو ببري قلمه) سوف لن يستثنى من العقاب في معرض سؤال القيامة»[2].

فابو حامدٍ هذا حينما يحور خشونة كلامه ليحاور الحاكم بلين لاتمجه أذنه في نهايات نصيحة الملوك بخلاف كيمياي سعادت يتعرض لاستعراض أصدقاءِه ورفاقه الذين لايتوقعون من صوفٍي خالص أن يصدر منه مثل هذا الكلام[3].

ألا بعـداً لعـين السـوء عن إحـداث تفـرقـة
لِطالـعـك الـعـظيم، وبـخـت سعـدٍ قرن ميلادك

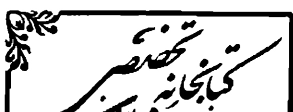
حافظ ازدسـت مده صحـبـت اين كشـتي نوح
ورنـه طوفـان حوادث ببرد بنيادت

فيا حافظ لا تفـلـت سعـادة فلك نوح
فللأحـداث طوفـان سيجـرف كلّ أوتـادك

(١) د. زرين كوب، الهروب من المدرسة، دار الروضة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى العربية ١٩٩١.

(٢) المصدر، ص ١٧١.

(٣) المصدر، ص ١٧٨.



# تقلّب القلب وتحوّل الحال

وعلى كل حالٍ فلنغض الطرف عن هذا الحديث منصرفين الى مايتلو بعد هذا، فترة التحول والانقلاب حيث التوجه إلى العالم العلوي ولنصغ الى السيد نفسه وهو يقول:

«وكنت كذلك في أرغد عيش وأطيب حالٍ بين الأهل والأوطان والأصحاب والخلان (واستمر الحال على هذا المنوال) حتى غلب في باطني دواعي الحق وكشف اللّه لي فساد ماأنا فيه من الجهل والغفلة والنسيان وظهر لي ضلالي عن طريق الحق، والإستقامة على سبيل الغيّ والطغيان، فناجيت ربي في السرّ وطلبت منه الخلاص عن الكل، وحصل لي شوق تام إلى الترك والتجريد، والتوجه إلى حضرة الحق بتقدم التوحيد وماكنت أتمكن (من) هذا في صحبة هؤلاء الملوك، ولافي الوطن الأصلي المألوف، مع صحبة الإخوان والأصحاب.

فرأيت المصلحة (في) تركهم بالكلية، والخروج من عندهم تتيسر ذلك (إلى القيام بواجبات الحياة الحقيقية) على أحسن الوجوه (وأكملها). فتركتهم على هذا الحال، وتركت الأهل والمال والملك والجاه والوالد والوالدة والإخوة والصديق والرفيق ولبست دلقاً كانت قيمتهُ أقلَّ من درهم، لأنّه كان ملقىً في بعض الدروب.

وتوجّهت على هذا المنوال إلى زيارة جدي رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وآله ـ والأئمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ بنية الحج وزيارة بيت اللّه الحرام

وبيت المقدس وكان ذلك بطريق الريّ و القزوين و الاصفهان حتى وصلت إلى اصفهان بعد أن كنت فيها مدة طويلة في زمان الشباب وكثرة المال والجاه وأجتمعت بخدمة المشايخ الذين كانوا فيها، ووقع من بينهم عقد الأخوة والفتوة بيني وبين الشيخ الكامل المحقق نور الدين طهراني وهو من قرية على باب إصفهان من طرف دردشت يسميها العوام بتران ـ وهو في الاصل طهران ـ بكسر الطاء وكان عارفاً وزاهداً، مقبولاً عند الخاص ...)[١]

قبل الخوض فيما يعطينا هذا النص من مغازي أود لو أشير إلى نقطة قد تغيب عن بال الباحثين أو يمرون بها مرور الكرام وهي قضية الهجرة آلتي يلزم أن تتم مادياً ومعنوياً بمعنى أنّ المهاجر يجب أن يبدأ بالظعن من الديار ابتداءً لترك مايحب ومايشتهي ممن له بهم ولهم به تعلق، نعم نجد في هذا النمط من الهجرة لذعةً في القلب لاتشفى الاّ بصبرٍ وتجلد موهوبين، وقد تكلّم عن هذه الهجرة عددٌ لايحصى من الصوفية وغيرهم كموقف إسلامي يُتخذ ازاء الاوضاع الطارئة لدى الفئة المسلمة او الشخص المسلم، آلتي قد تبلغ من السوء حدّاً تقتضي المؤمن الصادق القيام بالهجرة إلاّ اَنّ هذا الأمر أيضاً لم يصن من تكلم الانواعِ من المبالغة التي سبّبت أن يقف عددٌ من أصحاب الشريعة بضدها فمثلاً ترك العيال والأولاد وهم ممّن تعلقوا بالمرء عن طريقه هو قد لايلقى الجواز شرعاً وإنسانياً وليس يقوم به الاّ من تمحّض الشّقاء في نفسه وهو غير مضطر، ونحن في الوقت ذاته تطالعنا كتب القوم بأن الكثيرين منهم عملوا هذا ولم يتخلّفوا عنه. وامّا في هذه الحالة ونحن نلقي نظرة اُخرى إلى حياة السيد فلانجد له عبارة تحكي عن تركه لعياله وسيّما حينما يتّحدث عن الخواص من عائلته واقاربه بيد أن جملاً في مصنفات بعض الاساتذة

(١) السيد حيدر آملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص ٤٤ ـ ٤١، انستيتو ايران وفرانسه كنجينه نوشته هاي ايراني ١٦.

توحي الى ترك السيد لزوجته وأولاده[1].

## تقويم السيد لبقاع من الأرض

واَمّا النقطة الثانية اَلتي ينبغي التلميح اليها والتحدث عنها بشيء من التفصيل هي تقويم السيد لبقاع من الأرض يقدسها المسلمون لاسباب معيّنـة، منها كونها مقابر ومزارات للائمة والصلحاء والاولياء الاّ أنّ الاهمية الممتازة التي يوكلها السيد لمثل هذه البقاع تسترعي الانتباه حقاً فليس لي هنا بدٌ الاّ ايـراد مـاذكره السيد تعليقاً على قول ابن عربي الآتي تحتاً وباللّه المستعان:

«ومن شرط العالم المشاهد، صاحب المقامات الغيبية والمشاهد، ان يعلم انّ للامكنـة في القلوب الطيبة تأثيراً، ولو وجد القلب في أي موضع، كان الوجود الاعم، (ومع ذلك) فوجوده بمكة أسنى وأتم، فكما تتفاضل المنازل الروحانية كذلك تتفاضل المنازل الجسمانية وإلاّ فهل الدرّ مثل الحجر إلاّ عند صاحب الحال؟ واَمّا المكمل صاحب المقام فانّه يميز بينهما، كما ميز بينهما الحق...، فالحكيم الواصل من أعطى كلَّ ذي حق حقه» واَمّا قول السيد:

«اَعلم أنّ اللّه ـ تعالى ـ لو عرف في المنازل الجسمانية اَلتي هي الأرض وماعليها أعظم وأشرف وأعلى من مكة منزلاً وموضعاً لوضع اوّل بيته فيه وأمر الخلق والعبيد بالتوجه إليه... والمعلوم أنَّ الفيضان والتجلي من الأرض كلها

(١) كما يفيدنا في ذلك الاستاذ الدكتور زرين كوب بما هو نصه: «بس مال وجاه ومقام را رها كرد، زن وفرزند حتى پدروما دررا ترك كرد.» بما معناه: «فترك المال والجاه والمنصب كما أنّه ترك زوجتهواولادهوحتى والديه» ولربّما عثر الاستاذ على نص لم نظفر به.

(د. زرين كوب، دنباله جستجو در تصوف ايران، ص ١٣٩، دار أمير كبير للنشر، الطبع الاّول ١٣٦٢ هـ . ش).

وكذلك الساكن فيها والمجاور بها، فانّ فيضه يكون اكثر وتجليه يكون أعلى.»
وامّا مرمى السيد في آختصاص مايوشك ان يكون فصلًا كاملًا لقضية الأرض هو:

«والحاصل من هذه الأبحاث، من أولها إلى آخرها، في هذه الخاتمة مع المقدمة المذكورة للشيخ (ابن العربي) وغيرها، هو أنَّ مكة كما صارت موجباً للفتح (للفتوحات المكية) على قلب الشيخ بليلةٍ واحدة والمدينة بسبب (الفتوحات المدنية) كذلك، وعلى قلوب أمثاله من عباد اللّه ـ تعالى ـ كثيراً صار المشهد المقدس الغروي آلذي هو مشهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ـ عم ـ موجب الفتح للفتوحات الغيبية على قلبي إجمالًا وتفصيلًا، منها (تأويل القرآن الكريم)وغيره من الكتب، كما سبق بيانها في (الفهرست). ومنها (حقائق فصوص الحكم ومعانيه ومعارفه) هذه على ماينبغي، من غير عمل سابق ولاسبب لاحق؛ بل لمجرد التوجّه الى جنابه والاستدعاء من حضرته الخ»

## ذكرٌ لمدينة طهران في كلمات السيد

عوداً الى حديثنا عمّا يذكره السيد من التجولات الروحية فلنشكره مقـدّرين لما يزودنا به من معلومات قيمة ـ وإن كانت وجيزة ـ عن مدينة طهـران او قرية طهـران في تعبيره وآلتي تبدلت فيما بعد عاصمةً كبرى للحكـومة الايرانية وآلتي تضم في أحضانها مايزيد على سبعة ملايين نسمة المتجاوزة مساحتها في بعض الحالات على مساحة دولة واحدة مستقلة، الأمر الذي يلفت الانتباه إلى اهتمام السيد بعضاً بالجغرافية اهتماماً قد نجم إمّا من نباهته الذاتية في الاطلاع على حدود المدن والقرى وميزاتها وإمّا لصداقته الأخوية من الشيخ الطهراني.

فهذا هو الشيخ نور الدين الطهراني آلذي يتلقى السيد منه الخرقة

لاوّل مرة في حياته ويقول في حقه إنّه كان يكن الناس باصبهان له الاحترام والتقدير ولم أمكث عنده أكثر من شهر حتى آستلمت منه الخرقة وفي هذه المدة القليلة لقنني من الأذكار الخاصّة دون العامة ماوافى لي بكثير من الفوائد والأثـار المعنوية ثم رحلت من إصفهان لأتجه إلى مناطق أُخر كـ (ايزج) و(مال أمير) حيث التقيت برجلٍ كاملٍ وعارفٍ بصيرٍ منتظراً كي تتكون قافلة نحو بغداد ولم يحدث، هذا بجانب مرض شديد ابتليت به هناك عادا بي مرةً أُخرى إلى إصفهان ومن هناك صار بوسعي أن أتحرك نحو بغداد وأن أفوز بعد الوصل بزيارة امير المؤمنين والمزار الحسيني ومقابر الامامين موسى وجواد ـ عليهما السلام ـ ممضياً هناك فترة آستغرقت عاماً كاملاً ثم وليت وجهي صوب الكعبة المشرفة ناوياً الحج في وحدةٍ وفقرٍ ولّما آنتهيت من زيارة مقبرة الرسول (ص) والأئمة الأربعة في المدينة رجعت إلى العراق وقطنت في مدينة نجف الأشرف خالياً بنفسي مشتغلاً بالرياضيات والعبادات أبتغي أن تدركني العلوم اللدنية ولاالاكتسابية ومّما تجدر اليه الأشارة أنّني لم أتمكن من التعرف على قومٍ يلمون بمثل هذه الأمور علمًا ـ اعمالاً واحوالاً ـ ماحاشا رجلٍ عارف كاملٍ كريمٍ مخمول الذكر وهو في الوقت ذاته من رواد الأولياء الالهيين وكان يعرف ـ عند الناس ـ بـ عبد الرحمن بن احمد المقدسي وهو انسان قليل المؤونة في الحياة، كثير الفضائل والعلوم عند العلماء، أجل التقيت به وآثرت مجالسته وطفقت أدرس لديه كتاب منازل السائرين وشرحه ثم كتاب فصوص الحكم وشرحه بالإضافة إلى كتب أُخرى ممّا جعلني ـ بفضل قداسة المكـان والـرجـل القدسي والتوسل إلى الحضرة القدوسية والأئمة (ع) ـ متمكناً من أن أكاشف بمعظم الحقائق آلتي تنطوي عليها كتب التصوف جملة وتفصيلاً ومن ثم كتبت لهذه الأسفار شروحاً عديدةً وحواشي متعددة والفت كتباً يبلغ تعدادها أربعة وعشرين مجلداً بعد السنين آلتي قضيتها من ذلك الوقت أعني ٢٤ سنة»

إلى هنا ينتهي مايذكره الاستاذ محمد خواجوي نقلاً عن تفسير السيد»[1].

ولكنّ هذه الحوادث ٱلتي يتوالى بعضها بعد بعض آخر إنّما تلي الفترة التي سماها بعضهم با لفترة الفارسية في حياته تعبيراً عن عدم جنوح صاحبنا إلى المقامات المعنوية العليا ٱلتي تقوده أخيراً إلى الإلتحاق بالمشاهد القدسية ٱلتي هي في نظره أمكنةً بارك اللّه فيها وجعلها مقدسة حيث يعود بمستطاع كل إنسـان هادف ملتـزم أن يبلغ غايته الربانية وغرضه الإلهي بالمشاهدة والمكاشفة حيث تزدهر فيه الإستعدادات المودعة في النفوس الإنسانية، نعم كل هذا ماتمليه علينا سيرة الشيخ ولكن لماذا؟ لماذا يغمض الرجل العين عمّا يسميّه بالجاه والمال والملك و...؟ وقد تكون الإجابة في ضمن مايذكره السيد نفسه كمحركات إيقاظية له ومفجراتٍ لطاقاته الباطنة وهو كما يلي:

«ٱعلم أنّي كنت في حالة السلوك باصبهان؛ وكنتُ عازماً (على السفر) إلى بغداد لزيارة المشاهد المقدسة للائمة، وزيارة الأولياء والمشايخ، وزيارة بيت اللّه الحرام على سبيل الوجوب والمجاورة به، فرأيت ليلةً من الليالي في النوم أنّي واقف في وسط (سوق) البزازين وأُشاهد جسمي على الأرض مرمياً محدوداً بالطول وهو ميّت ملفوف بالكفن الأبيض وأنا أتفرج عليه، وأتعجب من هذا بأني كيف كنت واقفاً وكيف أمسيت مرمياً؟ حتى ٱنتبهت من ذلك، وكان هذا في ٱبتداء الموت الإرادي والسلوك الروحاني لقوله (ص): «مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا» وقول الحكيم: «مُتْ بالإرادة تحيَ بالطبيعة» وقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتـاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ . . ﴾[2]. والحمد لله على هذا فانّه كان سبب الحياة الأبدية والدولة السرمدية ﴿إنَّ

(١) مقدمته على أسرار الشريعة وأطوار الطريقة وأنوار الحقيقة، من منشورات مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، تهران ١٣٦٢.

(٢) الأنعام، ١٢٢.

هذا لَهُو ٱلفَوزُ العظيم﴾[1]، ﴿لِمِثِل هذا فليعمل العاملون﴾[2].

ورأيت مرة أُخـرى ايضـاً في إصبهـان أني قاعـد على دكـان بعض الأصحاب في ذلك السوق، وعلى كتفي ظرفٌ من الرصاص المذهب كظرف بعض السقائين الذين هم يدورون على الناس ليسقونهم؛ وله (الظرف) رأس ذو وضع غريب، معمول على شكل الظروف الكبار من الطين وأنا أسقي منه الحاضرين هناك، وأنا أتفرّج على نفسي بأني كيف أنا قاعدٌ وكيف (أنا) قائم؟ وكيف أسقي وكيف أشرب؟ وكل ساعةٍ أضحك وأتعجب من هذه الصورة الغريبة والحالة العجيبة، حتى ٱنتبهت من النوم وكان ذلك سبب انكشاف معارف كثيرة وحقائق جليلة من المعارف الإلهية والحقائق الربانية.

ورأيت أيضاً مرةً أُخرى أني جالس ورأسي في يدي وهو مقطوع من غير علمي بقطعه، وأَدوره على يدي وأتفرج عليه. وأضحك كل ساعة أيضاً من هذه الصورة العجيبة حتى ٱنتبهتُ. وكان هذا أيضاً سبب وصولي إلى كنـوزٍ كثـيرة من الجـواهر العلوية ونقودٍ جّمة من الموائد الغيبية، بطريق الفيضان والكشف، وكنت سمعت أبي، في مثل هذا النوم يعطي بحكم التعبير لصاحبه ألف دينـار لاأقل ولاأكثر. وقد حصل ذلك من بعض السلاطين الصوريين من غير تأجيل ولاتأخير، بحسبه الظاهر ولكن بحسب الباطن حصل من السلطان المعنوي الحقيقي الذي هو اللّه ـ تعالى ـ ألف مسألة معتبرة من طريق الشهود والمكاشفات كانت هي أصفى من الذهب المصفّى وأنقى من الجواهر الموعودة في الجنة الاعلى ﴿ذلكَ فَضْلُ اللّه يؤتيـه مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العَظيمِ﴾[3]﴿وَمايُلَقّاها إلاّ ٱلّذْينَ صَبَرُوا وَمايُلَقّاها إلاّ ذُو

(١) الصافات، ٦٠.
(٢) الصافات، ٦١.
(٣) الحديد، ٢١.

حَظٍّ عظيمٍ﴾[1] وامثال ذلك جرت كثيرةً لنا ولأصحابنا العارفين كذلك أمثال هذا ليس ببعيدٍ منهم ولامنّا ولامن اللّه ـ تعالى ـ ﴿وَما ذلكَ عَلى اللّهِ بِعَزيزٍ﴾ »[2]

ثمّ يتلو الرجل بقيةَ ماجرى عادا المواطن اَلتي اَستغرب السير فيها طيلة الخروج من مسقط رأسه:

«وذلك أن تعرف أن اللّه ـ تعالى ـ أمرني بترك ماسواه، والتوجّه إليه حق التوجه، ألهمني بطلب مقامٍ ومنزل أسكن فيه وأتوجه إلى عبادته وطاعته بموجب أمره وإشارته، (مكان) لايكون أعلى منها ولاأشرف في هذا العالم، فتوجَّهت إلى مكّة ـ شرفها اللّه تعالى ـ بعد ترك الوزارة والرياسة والمال والجاه والوالد والوالدة وجميع الأقارب والإخوان والأصحاب... وقد جرى عليّ إلى حين وصولي إلى مكّة في هذه الصورة أنواع من البليات وأصناف من المجاهدات، لايمكن شرحها إلاّ بمجلدات، ومع ذلك كان في أكثر الحالات جارياً على لساني قوله ـ جلّ ذكره ـ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيتِهِ مُهاجِراً إلى اللّه ورَسُولِه ثمَّ يُدرِكهُ اَلموتُ، فقد وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وكانَ اللّهُ غفوراً رحيمًا﴾[3] وقول العارف المشتاق مثلي ـ وهو قوله:

تركت الخلق طرّاً في رضاكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني إرباً فاربا ... لما حس الفؤاد إلى سواكا

وعلى الجملة (مازال هكذا حالي) حتى وصلت إلى مكّةوحججتُ وجوباً وقمت بالفرائض والنوافل من المناسك وغيرها سنة إحدى وخمسين وسبعمأة (٧٥١) من الهجرة وأردت المجاورة بها، فحصل لي شوق إلى المجاورة

(١) فصلت، ٣٥.
(٢) السيد حيدر الآملي، المقدمات من كتاب نص النصوص ، القسم الثاني، التمهيد الثاني، الوجه الثاني ص ١١٣، انستيتو ايران وفرانسه، كنجينه نوشته هاي ايراني ٢٢.
(٣) النساء، ١٠٠

بالمـدينة، فانّي ماكنت زرت رسول اللّه ولاأولاده ولاأصحابه فتوجهت إلى المدينة وزرت رسول اللّه (ص ) وعزمت على المجاورة بها فحصل لي أيضاً مانع من الموانع، أعظمها المرض الصوري بحيث وجب الرجوع إلى العراق وإلى المكان المألوف ٱلذي هو المشهد المقدّس الغروي ـ سلام اللّه تعالى على مشـرفـه ـ فرجعت بالسـلامة إليه وسكنتُ فيه مشتغلاً بالرياضة والخلوة والطاعةِ والعبادة ٱلتي لايمكن (أن يكون) أبلغ منها ولاأشد ولاأعظم. ففاض على قلبي من اللّه ـ تعالى ـ ومن حضراته الغيبية في هذه المدة غير ماقلته من تأويل القرآن و شرح الفصوص من المعاني والمعارف والحقائق والدقائق ٱلتي لايمكن تفصيلها بوجهٍ من الوجوه لانّها من كلمات اللّه غير القابلة للحصر والعدّ والانتهاء والانقطاع. فأمرني (الحق) باظهار بعض ذلك على عبيده الخـواص فشـرعت في تصنيف كتاب في التوحيد وأسراره على ماينبغي... فشرعت في شرح فصوص الحكم بموجب ماتقدم تقريره وسبق تحقيقه. وهذا كان بعد مجاورتي بالمشهد المقدس المذكور ثلاثين سنة على الوجه المذكور. وكان ابتدائي في سنة احدى وثمانين وسبع مئةٍ (٧٨١)من الهجرة والانتهاء منه سنة (٧٨٢) .

## فيما أنفرد به من ميزات

بعد كلّ هذا أظن الوقت قد آن كي نلوّح إلى بعض ماوجدنا أن السيد يمتاز فيه من كلماتٍ صريحة جريئةٍ وممارسات متميزة قد لاتوجد مجتمعة في غيره ولربّما كانت هذه الميزات ـ ٱلتي لايحصرها عددٌ بالاحِصاء ـ هي التي صنعت هذه الشخصية التـاريخية ٱلتي يتـوقع منها أن تضطلع بالمسؤوليات المحولة اليها كمعلم لامعٍ للريادة الفكرية.

### إحاطته بالشريعة في جانب مايتصل بالطريقة والحقيقة

قد يطرح سؤال نفسه، لماذا إحاطته بالشريعة تتخذ كميزة تميز الرجل دون إحاطته بالطريقة والحقيقة والإجابة هي أنّ معظم من ٱكتسوا مسوح التصـوف تركوا عباءات العلم الرسمي إن لم نقل كمله يشغل بالهم عن الخوض في غمار الرياضات والمشاهد بل لحجابٍ يشكل لهم هواجس نفسانية هي من الثقل بمكان تنوء به عصبة أولوا قوةٍ فهجروه هجراً جميلًا ولئن وجدنا بعضهم ينطق بما يومي إليه ٱلتزامه بعبادات الشريعة ومضامينها فكان القصـد الاّول لديهم التنائي جداً عمّا قد يلصق بهم من تهم تقض عليهم مضـاجعهم وتحـرم عليهم الرّاحة والطمأنينة بيد أنّ عددهم لم يكن ـ منذ القديم من العصور ـ مؤشراً إلى غالبيتهم وأكثريتهم في الأجواء الصوفية ولذلك نحن ـ بتقديمنا الشريعةَ على الطريقة والحقيقة ـ حاولنا ببساطةٍ أن نظهر السيد في ضمن شخصياتٍ صوفية عاشت فترات من الزمن في ٱكتساب

العلم وإن تنصل عدد كبيرٌ منهم ـ فيما بعد ـ عن هذا النمط من العلم وإنَّما أنـاط ماعنده من علوم إلى الواردات القلبية والإشراقات الروحية ولكنّ الحقيقة أنّ السيد اعترف هو نفسه اكثر من مرةٍ بتتلمذه على أيدي اساتذةٍ غير روحيين في المدن الايرانية أولاً ثم في مدنٍ عربية أبرزها النجف الأشرف فالأمرها هنا لايخلو من فائدة لو ألقينا نظرة عابرة ـ على مايتبدى لنا من خلال كتب التاريخ ـ الى أساتذته.

## اساتذته:

١ ـ ابو المطهر الحلّي وهو استاذه المتميز في الشريعة كما يشير إليه السيد: «لقد وصلت إلى خدمة الشيخ الأعظم الأكمل، سلطان العلماء والمحققين، فخر الحق والملّة والدين ابو المطهر الحلّي ـ قدّس اللّه سره ـ وقد قرأت عليه عدداً كبيراً من كتب الأصول والفروع مما تنطوي على علوم أهل البيت (ع) ثم منحني مشرفا إجازةً خاطبني فيها بزين العابدين الثاني (وهو لما شاهد في من الأخلاق والسلوك اعتقد في حقي أنا في مرتبةٍ بعد العصمة) فأعطاني إجازات كثيرةً مختصرةً ومفصلة في جميع العلوم أنقل إحدى هذه الإجازات:

«إلى حضرة المولى والسيد الأعظم والإمام المعظم، أفضل علماء العالم وأعلم فضلاء بني آدم مرشد السالكين وغياث نفوس العارفين، مجدّد ومحيي سنن أجداده الطاهرين، الجامع للعلوم العقلية والنقلية والفروع والأصول، صاحب النفس القدسية والأخلاق النبوية، شرف آل رسول اللّه (ص)، الذي خصّه رب العالمين بالعناية، ركن الملة والحق والدين وحيدر بن السيد السعيد تاج الدين علي... إلى أمير المؤمنين. وهو قد قرأ عندي الكتب التالية أفضل القراءة بالغاً فيها أعلى مراتب التحقيق:

ـ جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد لصاحبه الشيخ الكريم وامين الدين الطبرسي

ـ شرائع الاسلام لصاحبه الفقيه الكريم الشيخ نجم الدين المحقق

الحلّي .

- مناهج اليقين في الكلام من مؤلفات والدي - رحمه اللّه -

-تهذيب الأحكام لصاحبه شيخ الطائفة الطوسي .

- نهج البلاغة لامير المؤمنين (ع) وشرحه للحكيم الكريم ابن ميثم

ولذلك يجوز له عندي أن يروي الكتب المذكورة أعلاه وجميع مؤلفاتي في العلوم العقلية والنقلية كما أسمح له أن ينقل عنّي جميع كتب القدماء الذي رويته باسنادي خصوصاً كتب والدي...)»

على اساس هذه الإجازة نفسها يسمح للسيد أن يروي كتب الشيخ المفيد (ره) والسيد المرتضى (ره) والشيخ الطوسي (ره) والكتب الأربعة عموماً.

إذن كان للسيد أن يبدو بمظهر المتشرع الذي قد آنجلت له حقائق أُخرى في الوقت آلذي لاتحجبه هذه الحقائق من السير حثيثاً في نهج الشريعة اعتقاداً منه بالشريعة و الطريقة و الحقيقة اشياء لايباين بعضها بعضاً كما سنشير إليه في المستقبل ومن هذا المنطلق يتحول الرجل ليذكر آداب الشريعة في فرضٍ معين بجانب ماللحقيقة والطريقة أيضاً من قضايا يجب أن يقام لها الوزن الاليق فمثلًا:

## وامّا حج أهل الشريعة

«فالحج عندهم من حيث اللغة القصد ومن حيث الاصطلاح الشرعي القصد إلى بيت اللّه الحرام لأداء مناسك مخصوصة متعلقة بوقت مخصوص وهو واجبٌ ومندوبٌ فالواجب على ضربين، مطلق ومقيد فالمطلق هو حجة الإسلام وهي واجبةٌ بشروط ثمانية، البلوغ والصحة ووجود الزاد والراحلة والرجوع إلى كفاية من المال أو الصناعة أو الحرفة وتخلية الدرب من الموانع وإمكان المسير، ومتى آختلٌ واحدٌ من هذه الشروط سقط الوجوب ولم يسقط

الإستحبـاب ومن شروط صحة أداءها الاسلام وكمال العقل وعند تكامل الشروط تجب في العمرة مرةً واحدةً... وامّا أقسامه فالحج على ثلاثةِ أضربٍ، تمتع وقرانٌ وإفرادٌ فالتمتع هو فرض من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام والإفـراد والقران فرض من كان أهله حاضريه وحده من كان بينه وبين المسجد الحرام آثنا عشر ميلًا من أربع جوانب البيت، أعني أربع فراسخ، لانّ كلّ فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف ذراعٍ وكل ذراعٍ أربعةُ وعشرون اصبعاً فيكون المجموع أربعة فراسخ.

وأما أفعاله فأفعال الحج على ضربين، مفروض ومسنون والمفروض على ضربـين، ركن وغـير ركن في الانواع الثلاثة آلتي ذكرناها، فأركان التمتع عشرة، أربعة منها للعمرة وستةٌ للحج، امّا آلتي للعمرة؛ النية والإحرام من الميقـات في وقته وطواف العمرة والسعي بين الصفا والمروة أمّا التي للحج فالنيّة بالحج والوقوف بعرفات والوقوف بالمشعر وطواف الحج والسعي للحج وماليس بركنٍ فثمانية أشياء، التلبيات الأربع مع الإمكان أو مايقوم مقامها مع العجز، وركعتا طواف العمرة والتقصير بعد السعي والتلبية عند الإحرام بالحج أو مايقوم مقامها والهدي او مايقوم مقامه من الصوم مع العجز وركعتا طواف الحج وطواف النساء... الخ»[1].

نعم ان السيد يشعر بأن له مسؤولية تقتضيه أن يطير بجناحي الطريقة والحقيقة في مسيرة الشريعة غير مكتف بالسير فقط وإنّما يبلغ من المراتب آلوصالية والحقائق الذوقية والدرجات الكمالية مبلغاً يؤهله أن يترجل هنيهة من براق العـروج ليعظ الناس وعظاً يهديهم إلى الصراط السوي والذي يلقنهم أذكاراً إلهية تأخذ بايديهم لتوصلهم إلى القناعة بانّ الوجود الانساني

(١) أسرار الشريعة، السيد حيدر الآملي، ص ٢٢٢، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي سال ١٣٦٢، تهران.

وهو العالم الأصغر أوسع وأكمل من أن يبقى محبوس الظواهر ينظر في البحر وأمواجه وهو يولع بالسباحة فيه والشعور بالحرية هناك والخوض في لججه الاّ أنه يهاب الغرق في حين أن خلاصه لن يتيسَّر الاّ بكسر أصنام الشرك وفناءه الوحدوي في البحر وهو كذلك.

«والغـرض منـه (من هذه المقدمة) أنّه لّما كان اكثر أهل الزمان من خواصهم وعـوامهم يظنون أنّ الشريعة خلاف الطريقة والطريقة خلاف الحقيقة ويتصورون أن بين هذه المراتب مغايرةً حقيقيةً وينسبون إلى كل طائفةٍ منهم مالايليق بهم خصوصاً الى طائفة الموحدين من أهل اللّه المسماة بالصوفية... أردت أن أُبين لهم الحال على ماهو عليه وأكشف لهم الأحوال على ماينبغي، فيحصـل لهم العلم بحقيقةِ كل طائفةٍ منهم ويتحقّق أنّ الشريعة والطريقة والحقيقة مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتباراتٍ مختلفة وليس فيهـا خلاف نفس الأمـر ويتركـوا بذلك المجادلة والمعارضة مع أهل اللّه وخاصته وأرباب التوحيد وخلاصته...».[١]

٢ ـ **الشيخ نور الدين الطهراني**: وهو رجلٌ من رجال الصوفية المعبر عنهم في لسان السيد **بالفتيان الصوفية** لقيه هو في سفره السلوكي بعد المغادرة لكل شيء في إصبهان المحطة ألتي أزمع السيد أن تكون موقفه للمكوث حتى التوجه إلى بغداد.

يستجـلي ماعند هذا الصوفي ويفكر في أطواره بامعان وتأملٍ ماكان ليبذلها وهو في ترف الحياة التي يحياها غير بعيد كل البعد عن الذوق ولكن هذه آونة أُخرى،آونة التجرد والسير آونة الاشتغال لابالملهيات الدنيوية ألتي ماهي الاّ وساوس شيطانية تعري الانسان وتستدعيه إلى نفسه المتمثلة في جمالٍ بارعٍ لايفوقه جمال وتنظر اليه بعيون فاترة فاتنة أجل الاشتغال بما

(١) المصدر، ص ٥.

يذوّقه طعم الجمال المطلق والسعادة الأبدية ٱلتي لانهاية لها وانّما كل من وصل إليها خلد فيها شريطة أن يكون بصره قد ٱنفتح كلياً إلى العالم العلوي زاهقةً فيه الاهواء النفسية والدوافع الشريرة لتدركه الأهلية في المضي صعداً إلى حضرة القرب. ففي هذه المرّة يجد مرءاً قد تمحضت فيه المواصفات الصوفية في صدقهـا وخلوصها فيجلب نظره ويحاول التدني منه وهو موفق في ذلك لصدق نيّته وصفاء قلبه ثم يتمنى سنة المخالقة المعلمة والمجالسة الواعظة والمخالطة المريدية فيقبل الرجل لما يظفر به من متلألأ الاستعداد وخصب الأرضية في هذا الإنسان الطالب وهذه الأهلية والاستعداد هي الميزة ٱلتي تجعل ثمار حديقة وجود السيد تينع أحسن إيناع وفي فترة زمنية لم تتجاوز شهراً واحداً كما أنبأنا به السيد نفسه في مطاوي بعض كتبه وحناياها ممّا جرى ذكره من قبل ولنعرف أيضاً أنّ السيد يطفق يحيا حياته الجديدة في خرقة صوفية يستلمها من هذا الصوفي العظيم شأنه هنا في هذه المحطة من محطات حياته ملتحقاً بالجماعات الصوفية بشكل رسميٍ لما يعرف من فضيلة الخرقة من كونها لايكسى بها أحدٌ الاّ اذا استحق لها بناءاً على مصلحة يراها كاسي الخرقة، السالك الكامل الواصل المجرب.

فللخـرقة لدى القوم قداسةٌ واحترام فائقان كما أنّ لها أُبهة في قلوب وعيون أهل اللّه لكونها كسوة أصحاب الرسول (ص ) رضي اللّه عنهم أجمعين.

«وهذه الخرقة ٱلتي يمتاز بها الموحدون عن غيرهم لدى ٱلناس هي عبارة عن سر الولاية و رمز التوحيد ٱلتي ألبسها اللّه آدم وغيره عن طريق جبريل ومنـه انتقلت إلى نجله شيث باشارةٍ معنوية ونسبةٍ روحانية ثم إلى نوحٍ وانتهى بهذه الخـرقة المطاف أخيراً إلى المهدي ـ عجل اللّه تعالى فرجه ـ وليست هي مايخاط من الصوف أو القطن أو مايضارعهما، إن الجميع يعرفونها لادور لها في حصول الكمالات النفسية وانّما هي عبارة عن إشارة لطيفة إلى

مايكتسيه الـطالب من جميل الأخـلاق وحسن الصفات ٱلتي يتوارثها من الشيوخ العظام»[1]

إذن لهذا الشيخ حقّـه وتقدّمه في إعطاءه حركة السيد الصوفية دفعاً جديداً إلى الأمام بحيث حلّ اليقين من روع السيد موقعه من أنه ـ لامحالة ـ مدرك لمرحلة جديدة في حياته.

٣ ـ شيخ كاملٌ وعارفٌ بصير، اسماء وصفات يمنحها السيد لرجلٍ ٱجتمع به في قريتين ايذج و مال أمير حيث توجه اليهما بعد مغادرة إصفهان ونحن في جهـل بالنسبـة الى البواعث التى دعته إلى الإنضمام إلى هاتين المنطقتين ينتظر تكون قافلةٍ تتجِّه إلى بغداد ولماذا لايمكث في إصفهان تلك المدينة العامرة بالسكان والمتحلية بأفخم الابنية والعمارات وبالتالي المحطة الكبرى لتردد القوافل فلابد أن تكون حكمة في نفس السيد ٱقتضته الظعن مغادرةً الاّ أن الحكمة هذه لم يسلط عليها الضوء بعد وهي لاتزال في ظلمات المجهولات التاريخية ٱلتي قد يكون من حظها السعيد أن تقدّم إلى مسرح المعلومات بفضيلة وثائق نجدها هنا وهناك متبعثرة في المكتبات الشخصية وبين كتب طالما لم يمسح من عليها الغبار ونحن في هذه الأفكار فاذا ببارقةٍ تبدأ بالومضان في أذهاننا هي مايميل إليه طبع كلّ ٍ إنسان يعتزم الهروب من الـدنيا فهـو أحوج مايحتاج اليه الهدوء و السكينة والطمأنينة في بقعةٍ من الأرض تملأها روائح الحياة الريفية من تواضع في الناس وطيبةِ قلب عندهم وبساطة عيش لديهم ولاسيّما اذا كان بصحبةِ انسانٍ كاملٍ أُوتي حظّه من العرفان الالهي والعلوم الربانية والصفاء في فؤاده والنور في سيماه ولربّما وجود مثل هذا الانسان استدعى السيد للتوجه الى هناك وعلى كلّ ٍ والسيد جديد

(١) المصدر، ص ١٣ نقلاً عن تفسير المحيط الأعظم.

العهد بهؤلاء المتصوفة فليغتنم وجود هذا الانسان ليروي عطشه الشديد في التعرف الاكثر فالاكثر على ملامح الحياة الصوفية ٱلتي تهدي صاحبها أخيراً إلى الحلول في منازل معنوية. ونحن لانفتيء تقرع مسامعنا بكلمات أفادنا هو في ترجمته الذاتية: «قضيتها في صحبةِ رجلٍ كامل وعارف بصير» الجملة التي من وحيها أنه أخذ منه.

٤ ـ عبد الرحمن بن أحمد المقدسي: شيخ آخر يبدو أنّ السيد كان يعول عليه روحياً لانّه من أصحاب الاجازات له وليس في العلوم الظاهرية وانما في العلوم الباطنية ومن هنا يمكن أن نتصور الدور الخطير الذي ٱضطلع به الشيخ عبد الرحمن بن أحمد المقدسي في حياة السيد وكذلك يمكننا التعرف على مكانته المرموقة من خلال استناد السيد إليه وفي ضمن تمكنه من إصدار الاجـازات فلابدَّ أن يكون لشخصيته وزن في المجتمع آنذاك حتى يصير بوسعه أن يصدر الإجازة وكذلك يلزم كونه من الجذابية بمكان تتوجه عينا السيد إليه، عينا رجلٍ ماكان لينظر إلى الآفاق بل الى أبعد منها ولاإلى الانفس الّاالى مالاتبصره مقل الآخرين، والشيخ عبد الرحمن رجل يعتز السيد أن ينقل إجازته له فيردف ذكر هذه الإجازة بعد مايأتي بكل ماصدر له من فخر المحققين الحليّ مدعياً بانّ هذه الإجازة هي ماعرف له رسمياً في بلاد العـرب وامّا فيما يتّصل بالإجازات له في بلاد الفرس فلانكاد نجده يتعـرض له وإنّما له إشارات عابرة إليه وعلى كل حالٍ عبد الرحمن هذا يسمح له تعليم الكتابين العظيمين هما منازل السائرين و فصوص الحكم، إذنٌ لانوشك أن نظفر بمثله لكل أحدٍ لما يحمله الكتابان من ميزات خصوصاً الثاني منهما في تعقيده ٱلذي يعكِّر على المدرس صفو التعليم فضلاً عن فهمه والوصول إلى كنه ذاته من قبل الناس العاديين، ومع هذا لايجتزي المقدسي ايضاً باصدار الاجازة فحسب ولاينعت السيد بـ ات تماثل تماماً تلك التي عدَّها فخر المحققين له وإنّما يضيف بكل تواضعٍ: «افادني السيد إفادة تزيد

على إفادتي له وذلك في رجب سنة ٧٥٣ للهجرة.

ومثـل هذه الإجـازة إن دلّ على شيءٍ فانّما يدل على مافي النفوس المتطلعة من حرص على الاستمرار في الحياة العلمية وإن اتسمت عند بعضهم بالانشغال الفارغ بالقرطاسيات. هذا هو السيد ـ وعلى مايظهر ـ لم يمض من تركه لدياره الا مايقل عن أربع سنواتٍ يقبل في لهف وشوق إلى دراسـة التصوف ليس فقط كظاهرةٍ إشراقية ذوقية لايكاد يبصر مداها الاّ من انغمر في الرياضيات؛ بل كظاهرة نظرية تناولها عددٌ كبيرٌ من الباحثين بالبحث والدراسة من بينهم الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي وكان كتابه فصوص الحكم حجر الزاوية في تكوين نظرية كونية شاملة ـ تتناول الكون ككل وطبعـاً بمنـظارٍ صوفي ـ ينـظر إلى العالم من شرفات الجبروت واللاهوت وباجهزة متطورة تغوص لتصل إلى أعماق البحور وأبطانها وهي في الوقت عينه مدوّنة على أُسس وأعمدةٍ يرسيها شيخ من شيوخ التصوف ملهمٍ من قبل اللّه ـ تعالى ـ فانّه على ماادّعاه ـ ويؤيده في ذلك السيد ـ أُعطي هذا الكتاب في مـبـشـريها من قبل رسول اللّه (ص).

أجل كل مافي كتب السيد من قرائن لاتحصى عدداً تأتي أدلة واضحة على اقتفاء الرجل أثر الشيخ محيي الدين بن عربي في ثيوسوفيته.

٥ ـ محمد بن ابي بكر السمناني: تبرز أهمية هذا الشيخ حين نتعرف عليه كثاني شيخ كسا السيد الخرقة الصوفية كما أنّ هذه الأهمية تنجلي بشكل أوضح حينما نلطف التدبر في أن الخرقة هذه كسيها الشيخ في وقت نضج عنده التفكير الصوفي متخطياً كثيراً من الحجب التي تمزقها يؤهل صاحبها للنيل إلى مقام الشيخية. ولذلك فمن الطبيعي أن نحسب هذه الخرقة الثانية خرقة تختلف عن الاولى في سموها وعلوها، كما أن هذا الشيخ يلفي أهمية بارزة في العيون حينـما نلتفت إلى كونه كاسي الخرقة لمثل السيد في شموخ مقامه وعظم مرتبته، هذا ومما تجدر الأشارة إليه هنا أن استلام الخرقة من هذا الشيخ

لم يأت صريحاً في كلمات السيد أو منقولاً في كتب تبحث عن حياته أو كوثيقة مستقلة عثر عليها في مكانٍ ما وإنّما هو من وحي بعض كلماته فلنستمع إليه:

«لقد استلمت الخرقة من شيخ الشيوخ ابي الحسن بن عمرو بن ابي الحسن وهو من عماد الدين عمر بن ابي الحسن علي بن محمد حمويه ـ قدس سره ـ وهو ذا الذي أدرك صحبة جده الإمام محمد بن حموية ـ قدس اللّه أرواحهم ـ».

وفي ذلك إشارةٌ واضحة إلى كون السيد اَرتدى الخرقة بيد السمناني.

وامّا الذي لاغبار عليه فهو أنّ السمناني يصدر إذناً للسيد في تلقين الأذكار ممّا يقوي اَحتمال أن يكون هو قد لقن السيد الأذكار لانّ هذا التلقين ـ على مايبدو ـ يلعب دوراً أساسياً في تكّون الشخص الروحي التكاملي فما لم يستطع الملقن أن يأتي بالذكر مشتملاً على جميع مايجعله مؤثراً ومثمراً لم يستطع أن يجيد تلقين الأذكار للآخرين فلابدّ أن يكون السمناني قد تفطّن هذه المرتبة من اَستعداد لدى السيد حتى أذن له في التلقين والتلقين هذا أيضاً من العناصر الأساسية اَلتي لايتأتى بدونه أن تنفخ الروح الصوفية في أحدٍ ومن ثم يتمتع بخطورةٍ فائقةٍ لايسوغ معها لكل أحدٍ أن يدعي الإحسان والإجادة فيه بحيث يضطر ذلك الأحد إلى الاجازة كما أنّ من المشروط في إعطاء الخرقة أن يكون معطيها قد اَستلم الخرقة هو بدوره من شيخ آخر وهكذا (... والسمناني أيضاً ليس ببدعٍ لهذه القاعدة اَلتي اَطردّت بين الصوفية إلى يومنا هذا، فهو في إجازته للسيد يعدُ جماعة تستند صلاحيته لاصدار الإجازة عليهم:

«هذا الفقير الضعيف، محمد بن أبي بكر السمناني ـ كتب اللّه له البقاء الأبدي بعد هذا العمر الفاني ـ لقنني الشيخ صالح الدّين أبي الخير شمس الدين محمد بن علي بن محمد الإصفهاني وهو لقّنه الشيخ الصالح زين العباد، علم الزهاد، فخر الأبرار ودائم الذكر في الليل والنهار محمد بن

أبي بكـرٍ الإسفـرايني لقّنني ذكر لااله الاّ اللّه في خانقاه سمساطي ببيت الأخوان بجانب جامع دمشق وذلك في عيد الفطر سنة ٧٠٣ من الهجرة كما أن الشيخ سيف الدين أبا المعالي سعيد بن مطهر بن سعيد الباذري قدس اللّه روحه لقن الشيخ الإسفرايني وهو بدوره أخذ التلقين من شيخ الزمان وقطب الوقت أبي الجناب نجم الدين أحمد بن محمد بن عبد اللّه الخيوقي وهو من الشيخ إسماعيل القصري وهو من الشيخ محمد بن مانكيل وهو من الشيخ داود بن محمد المعروف بخادم الفقراء وهو من ابي العباس بن إدريس وهـو من ابي القاسم بن رمضان وهو من ابي أيوب الضرسي وهو من أبي عبـد اللّه بن عثمان وهو من أبي يعقوب النهرجوري وهو من أبي يعقوب السـوسي وهـو من عبد الواحد بن زيد وهو من كميل بن زياد النخعي ـ رضي اللّه عنـه وعنهم أجمعين ـ وهو من أمير المؤمنين علي (ع) وهو من رسـول اللّه(ص) وهـو من جبرئيل، أمين الوحي (ع) وهو من رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ»[١].

ونحن اذ لاندّعي باستيفاء الكمال والشمولية للبحث الاّ أننا حاولنا غاية الجهـد في الاتيان بما يسمن عن الجوع في الوقت الذي قد لايصح التعبير عن بعض من سلف ذكرهم كأساتذة للسيد بالمعنى المصطلح عليه ولكن يجب أن لايتغامض عن الأدوار المهمة ألتي أضطلع كل واحدٍ منهم بها في تكوين أساسيات الفكر لدى السيد ومن هنا تأتيهم الجدارة لكي يذكروا على حدتهم في بحوث مفصلة واللّه أعلم.

(١) خواجوي، مقدمتّه على أسرار الشريعة، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، تهران ١٣٦٢.

## سبق وصولي إليه ـ تعالى ـ سلوكي

ومع هذا كلّه فقد صارحنا السيد بانّ وصوله الى الحق ـ تعالى وتنزه ـ وكشوفه ماكانت تبتني على هذه الأمور (التعليم والحضور في محضر الأساتذة والكمل من الأولياء) بأن سبق وصولي إلى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ سلوكي وآنتهاجي للطريق لأني كنت من المحبوبين ولا المحبين فوصول المحبوب يتقدم على طيّه للنهج وسلوكه للطريق كالأنبياء والأولياء وآلذين آتبعوهم بقدم صدق فانا قد بلغت غاية المرام لاالعمل عملته ولاالعلم علمته.

### دور القضاء والقدر في الوصول الروحي

المقتطف الأخير في كلمات السيد يبيّن بجلاءٍ قناعته بشأن الفضائل آلتي يخولها الانسان هل هي نتاج العمل الانساني او عائدة إلى مباعث أُخرى لايطلّع عليها إلاّ الراسخون في العلم ففي عقيدة السيد أن الأمر الثاني هو الأصح والحقيقة السائدة في العالم، اللّهم الاّ أن ظواهر هذا الامر الثاني لاتومي بانه أمر الهي صادر بناءاً على مقتضيات الحكمة الإلهية فمن الطبيعي أن يحتل بقعة مترامية الأطراف في بقاع التفكير الإنساني ولاسيّما إن ذهب إليه عددٌ جداً كبير من الحكماء والعرفانيين فالواضح أنّه مقولة ليس من الميسور أن تثقف موضعها في الفكر البشري وإنّما هي في أشد حاجة الى التعمق والتأمل المستمدين من قوى خارجة قد يعبرّ عنها بالامدادات الغيبية أو القوى اللاشعورية وعلى كل حالٍ فالإعتقاد بانّ

الأقدار محدّدة وهي تُقسم بين الورى على أساس حصصهم الأزلية اعتقاد قد يصل اليه العقل البشري بسهولةٍ مستغنياً بالقضايا ٱلتي تحدق عليه فتوحي إليه صحة القضية إلّا أن العقل البشري هذا ومن جانب آخر لايكاد يصدق بانّ بعضاً خصَّ بفضائل وميزات دون بعض آخر مستغرباً أن يصدر من الحكيم المطلق الخالق للعقول المودع فيها مقومات القضاء الصحيح المتجرد عن الدواعي الفاسدة، أن يصدر منه مايربك العقل ويغمسه في حيرةٍ من أمره لاتفوقها حيرة، وعلى كل حال تبقى المسألة هذه بلاحلٍ يختم الهيمان الّا أن للناس في ذلك ـ كما هو الشأن في كل شيء آخر ـ أقوالاً وآراء ومن زمرة هؤلاء سيدنا وبطل قصتنا حيدر الآملي فله بحث مسهب ذو أبعاد وجوانب متعددة في هذا الموضوع ونحن نرجو من العلي القدير التوفيق في بيان بعض ماله من قولٍ في هذا الصدد مكتفياً بالتلويح إلى قول آخر يدل بوضوح على معتقده في حصول الفضائل:

## كيف يحصل العلم بلاتعب

«امّا كيفية تحصيل العلوم الرسمية الكسبية، فهو أن يطلب الشخص اولاً أستاذاً عالماً بتعليم الخط وتعليم التهجي ويجتهد في تحصيلها مدةً طويلةً، (هذا) ان كان بليداً وان كان مستعداً فمدة يسيرة حتى يعرف الخط وقراءَة السواد ويحصل له ٱستعداد لعلوم أُخرى.

ثم بعد ذلك يطلب أُستاذاً آخر عالماً بعلم اللغة المفردة والمركبة وأشعار العرب والدواوين وعلم العروض وعلم الشعر وغير ذلك حتى يتعلم منه هذه الأقسام ويصير مستعداً لفهم كلام العرب من حيث اللغة. وهذا أيضاً يكون بمـدةٍ طويلةٍ أو بحسب الشخص وٱستعداده، أعني كلما يكون الشخص أزكى، تكون مدة (تعليمه) أقل وإلّا (فهي) أطول.

ثم بعد ذلك يطلب أُستاذاً آخر، عالماً بعلم الصرف وأقسامه، كما ينبغي

ويجتهـد في تحصيله حتى يحصل له الوقوف على أبنية الكلمة وصيغها من الثـلاثي والرباعي والخماسي والاطلاع على معانيها من الحال والأستقبال والماضي والغائب والحاضر والتأنيث والتذكير وأمثال ذلك.

ثم بعد ذلك يطلب أستاذاً آخر عالماً بعلم النحو وأقسامه ويجتهد في تحصيله على ماينبغي مدة طويلة مع آستعداد تام ليحصل له بذلك قوّة صحة القراءة واستعداد إعراب الكلمة من النصب والرفع والجرّ ونزوله في محلّه (أي في الإسم المصروف) ونصبه في مقره (أي في غير المصروف).

ثم بعد ذلك يجتهد أيضاً في تحصيل علم المعاني والبيان ومايتعلق بهما ليحصل له بذلك الوقوف على الإستعارات والتشبيهات والتجنيسات وأمثالها الواردة في القرآن والأخبار وغيرهما من كلام العرب.

وهذا كلّه بعض أقسام العلوم العربية، آلتي هي فنٌّ من فنون العلوم الكلية وآلة من آلات العلوم لاالعلوم الحقيقية ولاالعلوم المقصودة بالذات. وأقل مايحتاج المستعد إلى تحصيل هذه الأقسام بقدر الضرورة عشر سنين أو اكثر فامّا على سبيل التحقيق فقد آتفق العلماء على أنّ الشخص لو أراد تحصيل علمٍ واحدٍ في مدة عمره على سبيل التحقيق فهذا غير ممكنٍ.

وبالجملة فهذه آلات العلوم العربية من حيث اللغة...

وبـالجملة تحصيل هذين القسمـين، أعني قسم الشرعيات والنقليات وقسم الحكميات والعقليات يحتاج إلى مدة ثمانين سنة متتاليةً، لأن الأول كما قررناه يحتاج إلى خمسين سنةً والثاني إلى ثلاثين سنةٍ فيكون المجموع ثمانين سنةً كاملةً حتى يطلع صاحبها جاهلًا معجباً متكبراً تابعاً للشيطان وهواه بعيداً عن الحق وأهله نازلاً في حقه قوله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ هَلْ ننبئُكُم بالأَخسرينَ أعمالاً آلّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فــي الحَيــاةِ

الدُّنيا وَهُمْ يَحسَبُونَ أنَّهمْ يُحسِنُونَ صُنعاً﴾[1] والدليل على ذلك هو الذي قد تقـرر قبل ذلك أن خلاصة هذين القسمين هو علم الكلام في الشرعيات وقسم الإلهيات في الحكميات وصاحب كل واحد منهما أقر بنفسه أنّه ماعرف شيئاً وقد كتبنا ذلك بألفاظهم وتقريرهم لئلا يتوهم أنّه آفتراء أو كلام غير واقع واللّه أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب ﴿واللّهُ يَقُولُ الحَقَّ وهــو يهدي السَّبيلَ﴾[2].

هذا آخر ماعندي من بيان العلم الرسمي وكيفية تحصيله وإن فرغنا منه فلنشرع في كيفية تحصيل العلوم الحقيقية وبيان ثمرتها وإن تقدم ذكرها عند بيان الوحي و الإلهام و الكشف لأنها مشتملة عليها، صادرةٌ عنها أعني من الوحي والإلهام والكشف.

فنقول وأمّا كيفية تحصيل العلوم الحقيقية فهو في غاية السهولة لأنها موقوفة على فراغ القلب وصفاء الباطن وهذا يمكن بساعة واحدة و بيوم واحد و بليلةٍ واحدة، هذا إذا كان القائل بها قائلاً بالكسب. وامّا اذا لم يكن قائلاً به؛ بل يكون قائلاً بانّها هبة الهية وعطية ربانية فيمكن حصولها بأقلّ من ذلك. وهذه المقدمة لابدَّ لها من قاعدة مفصَّلةً لهذا المجمل».[3]

(١) الكهف، ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٢) الأحزاب، ٤.
(٣) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، الاصل الثالث، ص ٥٣٥، كنجينة نوشته هاي ايراني ١٦.

## هاهنـــا ينتهي المـطاف بابن عربي ودوره الأوفى في تكـوين شخصية السيد الروحية

ونحن هنا قبل أن نفرغ نهائياً من الحديث عن أساتذته يروق لنا أن نذكر في ضمن من تأثر بهم وأخذ منهم رجلًا متأخراً عنه بكثير رجلًا نحريراً في العلم قبل أن يولد السيد وألمعياً في التصوف الإسلامي اُلتحق بالرفيق الأعلى قبل أن يفتح السيد عينيه على النور وهو في الوقت ذاته يجري ذكره على لســان السيد اكثر من كل اَحد آخر ويروي عنه روايات وأحاديث ملفوفة بكثرة تخيل الى قاريء آثاره ـ لولا تأخره الزمني ـ أنه من أصحاب الرجل المتقربين فهو يخص الحديث في مواطن كثيرة من أبحاثه بالرجل ومـاتبقى من آثاره الخالدة التي لن تنمحي من ذاكرة التاريخ وبهذا يمكن اعتبار السيد من تلامذته اَلذين لم يحتذوا به حذو القذة بالقذة وإنّما اَتبعوه في أشياء وخالفوه في أشياء اُخر، نعم الشيخ الأكبر شيخ الطائفة الصوفية محيي الدين بن عربي هو الذي آثر السيد أن يقتفي أثره في كثيرٍ من خطواته العلمية إمّا تعلّمًا وإمّا عن طريق الإلهام المشترك الذي يجعل من كثير من المعتقدات لديهم أفكاراً مشتركةً ونحن إن أردنا أن نكون موضوعيين نختار أن يكون السيد بخوضه العميق في كتب ابن عربي وباستذواقه لما تنطوي عليه هذه الأسفار، الذي وجد كثيراً ممّا في حناياها موافقاً لمشربه ومتناسقاً مع طريقته المحببة اليه فذهب بعيداً يجول في ساحات يستقدم الشيخ الطائي إليه كلُّ من قرأ كتبه بعمقٍ لاسيما ذا الذي يهديه إليه الرسول الأعظم (ص) لينتفع الناس به فصوص الحكم السفر الذي صدر من جانب الرسول (ص) ـ على

حد قول السيد حيدر[1]ـ فأفتقر الى شروح صادرة من جانبه (ص) ومن هو أليق وأجدر من السيد حيدر للقيام بهذه المهمة، الذي سمعنا بصراحة رأيه في العلم وحصوله وأنه قد يكون هبةً وعطاءاً مفضلاً بهما على العبد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكذلك نراه يشكر اللّه ـ تعالى ـ لما شملته رحمته الواسعة فأدرجته في ضمن المنعمين بهذه الهبة فيبدأ بشرح كتاب عظيم هو الفصوص تكريماً لشخصية إبن عربي وإظهاراً لمقدراته الفائقة فالفصوص هو:

«ولامبالغة في القول بانّ كتاب **الفصوص** أعظم مؤلفات ابن عربي كلّها قدراً وأعمقها غوراً وأبعدها أثراً في تشكيل العقيدة الصوفية في عصره وفي

(١) يقول السيد:

في تحقيق وصول الكتاب إليه من النبي ـ ص ـ بحكم النقل والعقل والكشف فنقول: لاشك ولا خفاء أن أرباب التحقيق وأصحاب الذوق باسرهم سلّموا هذا وأقرّوا وأتفقّوا على أن هذا الكتاب وصل إليه من النبي ـ صم ـ على الوجه ألذي أخبر به هو في أوّله (أي في أوّل الكتاب). وقد كتبوا له شروحاً ومدحوه مدحاً لا مزيد عليه وإلى الآن وهم على هذا والحق طرفهم، وليس الحال إلاّ كما ذهبوا إليه.

ولكنّ بعض المحجوبين عن اللّه ـ تعالى ـ وعن أنبيائه وأوليائه كما هي عادتهم ـ أنكروا عليه ذلك وقالوا:

«إن هذا كذب منه وأفتراء على رسول اللّه (ص) و(أنّه) قطعاً لما يمكن هذا؛ وان أُمكن، فقد ألتبس على عينه الشيطان، وتمثل بصورة النبي ـ صم ـ له إضلالاً وإغواءاً وإفساداً في الدين والإسلام وكل ذلك مهملات وخيالات من الشيخ وليس له أصل ولامحمل يحمل عليه. فأردنا أن يقوم بجوابهم ومنعهم ونبيّن لهم الأمر ليتحقّقوا أنهم (هم) في متابعة الشيطان ومطاوعته، لاالشيخ وأنهم هم في صدد الخيالات والمهملات والظنون الفاسدة والتوهمات الكاذبة لاالذي يروي عن النبي (ص) ويقول عن اللّه ـ تعالى ـ ولايتمسك الاّ بها وبقولها. الخ)

(السيد حيدر الآملي، المقدمات من نص النصوص في شرح الفصوص ، القسم الثاني، التمهيد الثاني، الوجه الأول، ص ١٠٣)

لايخفى على أحدٍ خطورة كلمات يلهج بها السيد لأنها ليست تمس كرامة طائفة صغيرة من معارضي الصوفية التقليديين فحسب وإنّما تشمل طوائف واسعة من المتشرعين شيعيين أو سنيين، صغاراً أو كباراً.

الأجيال ٱلتي تلته. فقد قرَّر مذهب وحدة الوجود في صورته النهائية ووضع له مصطلحاً صوفياً كاملاً ٱستمده من كل مصدر وسعه أن يستمد منه كالقرآن والحديث وعلم الكلام والفلسفة المشائية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة الغنوصية المسيحية والرواقية وفلسفة فيلون اليهودي كما ٱنتفع بمصطلحات الإسماعيلية الباطنية والقرامطة وإخوان الصفا ومتصوفة الإسلام المتقدمين عليه ولكنه صبغ هذه المصطلحات جميعاً بصبغته الخاصّة وأعطى كلّاً منهم معناً جديداً يتفق مع روح مذهبه العام في وحدة الوجود، فخلَّف بذلك ثروةً لفظيةً في فلسفة التصوف كانت عدة متصوفة وحدة الوجود في العالم الإسلامي عدة قرون وحولها حامت جميع المعاني ٱلتي طرقها كتابهم. ومامن صوفي إسلامي أتى بعد ابن عربي، شاعراً كان أم غير شاعرٍ، عربياً كان أم فارسياً أم تركياً إلّا تأثر بمصطلحه ونطق عن وحي كلمه. ولست أذهب الى أنّ هذا المصطلح الصوفي الفلسفي الكامل ٱلذي وضع فيها المؤلف كتاباً خاصاً موجود برمته في الفصوص ، فان فتوحاته المكية الذي هو أعظم موسوعةٍ في التصوف في اللغة العربية غني حافل بهذه المصطلحات، ولكن الفصوص حوى أُمهاتها وأضفى عليها من الدقة العلمية والنضج الفكري مالانجده في كتاب آخر له. وإلى مصطلحات الفصوص خاصةً يرجع فضل تأثير ابن عربي فيمن ترسم خطاه في الطريق الصوفي»[١]

(١) يستمر الاستاذ العفيفي قائلاً:

«على أنّ أهمية الفصوص ليست قاصرةً على مصطلحاته ٱلتي ردّدها الصوفية والشعراء من بعد ابن عربي ترديداً فانّ للكتاب قيمةً أخرى لاتقدر من ناحية مادّته، إذ فيه يعالج المؤلف مشكلته الكبرى ـ مشكلة وحدة الوجود ـ وماتفرع عنها من المسائل ٱلتي سلك في استنباطها مسلكاً كلامياً خاصاً لاأجد له نظيراً في مؤلف آخر من مؤلفاته وربط هذه المسائل كلها ربطاً محكمًا داخل دائرة مذهبه العام. فجاء كتابه خلاصةً لمذهب في الفلسفة الصوفية منسجم متسق الأجزاء، وهو مذهب لانكاد نظفر به كاملاً في كتاب آخر له، كما لانظفر بمثله في كتب غيره من الصوفية الذين سبقوه أو أتوا من بعده، وفي هذه الناحية أيضاً ـ ناحية

## كيفية تقويمنا للعلاقات بين العملاقين

فلنعد ثانيةً إلى الاجواء الروحية الإشراقية ألّتي يريدنا السيد السير فيها وألّتي تبعد عن الاجواء التي يصنعها مقال الأستاذ العفيفي الذي يتكلم عن كاتب عبقري استطاع بفضل ماأورث فيه من ذكاء حديد وفطنةٍ متوقدة أن يخلق كتاباً عديم النظير، فلنعد ثانيةً إلى السيد وهو يشيد بشخصية ابن عربي المرموقة في فصل خاص يكرسه له في كتابه المقدمات على النصوص حيث تحمل كلماته إخلاصاً واحتراماً عميقين للشيخ الاكبر فمثلاً: «رزقنا اللّه الوصول إلى مقامه ومرتبته» وهو كلام قلّما عثر على مثله قد صدر منه ولكنه مع هذا كلِّه يتحدث عن الرجل في ظلال من الارتياب الذي لايكاد

مادة الفصوص - كان دين متأخري الصوفية لابن عربي عظيمًا. وليس ماخلفه شعراء الفرس من تراثٍ شعريٍ صوفي رائعٍ سوى صدىً لتلك المعاني ألّتي أبتكرها صاحب الفصوص وورثتها عنه العبقرية الفارسية فأبدعت في تصويرها وفي أساليب التعبير عنها. فاضت قلوب الشعراء الفرس والترك بمعاني الوحدة الوجودية الشاملة وبالحب الإلهي القاهر القائم عليه كل شيء وقالوا إن الحق أصل كل موجود، وإنّه يتحلل العالم بأكمله فيضاً عن فيضٍ وأنّه الفاعل على الحقيقة لكل شيء في كل شيء، تصدر عنه الأشياء وتفيض عنه الحركات، يلبس في كل آن صورة جديدة - مالانهاية له من الصورة الجديدة - يخلعها عن نفسه إلى الصورة الجديدة الأخرى. وانّ عالم الممكنات يخلق خلقاً جديداً في كل لحظةٍ ويفنى في اللحظة التي تليها وان كنّا لاندرك ذلك من أنفسنا ومن العالم الذي يحيط بنا لكثرة مايتعاقب علينا وعلى العالم من صور الفناء والبقاء ويصف شعراء الفرس والترك كيف أضاء الحق بنوره الأزلي جميع نواحي الوجود وكيف أضاءت أسماءه بالوجود أعيان الموجودات وهي في حال عدمها الأزلي، فعكست كل عينٍ منها كمالات الاسماء كما تعكس المرايا صور المرئيات وكيف تجلت صفات الجلال الإلهي في نار الجحيم وفي الشياطين وظهرت صفات الجمال في الجنّة والملائكة وكيف جمع الإنسان في نفسه هذه الصفات جميعها فكان عالماً صغيراً فيه كل مافي العالم الأكبر من صفات الجمال والجلال.

هذه بعض المعاني التي تغنى بها شعراء الفرس والترك من أصحاب وحدة الوجود وكلّها من مذهب ابن عربي في الصميم ومن بعض ماأودع في كتابه الفصوص .

(ابو العلا العفيفي، تعليقاته على فصوص الحكم ص ٧ - ٨ - ٩، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان)

يذر القاريء لحظة من اللحظات يستريح ويرتاح لقراءَة ابن عربي فمرةً يفصح عن عدم تأكّده من ولاية الشيخ ويكسو هذا الرأي ثوباً لايوحي مباشرةً إلى مغزاه وإنما في حالة من العادية كما أنه ينطق بها عادةً في معرض الحديث عن الإنسان الكبير فلنصغ اليه وهو يقول:

«وعلى الجملة يمكن أن الشيخ (الحاتمي) كان من المحبين ويمكن أنّه كان من المحبوبين[1]؛ وكلا التقديرين كان في مقام عالٍ ومرتبةٍ رفيعة كما شهد به بعض أقواله ويشهد به بعض أفعاله، رزقنا اللّه الوصول إلى مقامه ومرتبته! وهذا المقال يحتاج إلى ترتيب سلوكه من الأوّل إلى الآخر ونسبة خرقته وإسناد تلقينه إلى مشايخه وأساتذته، لاسيما الخضر ـ ع ـ فانّه لبس الخرقةَ من الخضر مرةً ومرةً أُخرى من المشايخ؛ وذلك غير معلومٍ مفصلاً. وقد كتب في سيرته وطريقته من الأول إلى الآخر، كتاباً كبيراً، الرجوع إليه أولى. ولكن له بابان معتبران في الفتوحات المكية من المجلد الأوّل، الباب الأول منها، في هذا الباب أي العمليات والثاني في آعتقاده ومحبته للنبي وأهل بيته»[2]

هذا الرنين الضئيل الذي نتسمّعه في آذاننا يشتد دوياً في موطنٍ آخر حين

(١) يعرف السيد هذين النوعين من العلاقة الثنائية فيما نصه:
«إنّ الوصول إلى اللّه ـ تعالى ـ ، بالاتفاق موقوفٌ على سلوكين: سلوك المحبية وسلوك المحبوبية لقوله ـ جل ذكره ـ: ﴿فسوف يأتي اللّه بقوم يحبّهم ويحبّونه﴾ وأمّا سلوك المحبية فهو السلوك الذي يكون وصول السالك متأخراً عن سلوكه ويكون موقوفاً على الرياضة والخلوة والمجاهدة والشيخ والمرشد لقوله ـ تعالى ـ : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنّ اللّه مع المحسنين﴾... وأما سلوك المحبوبية فهو الذي يكون وصول السالك متقدماً على سلوكه ولايكون موقوفاً على شيء، أصلاً من العلم والعمل والقول والفعل سابقاً أو لاحقاً لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ألذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾.
(السيد حيدر الآملي، المقدمات من كتاب نص النصوص ، ص ١٣٢)

(٢) السيد حيدر الآملي، نص النصوص ، المقدمات، القسم الثاني، التمهيد الثاني الوجه الثالث، ص ١٣٣، استيستو ايران وفرانسة، تهران.

يصارحنا السيد قائلاً:

«وشرطت على نفسي أيضاً أن أقوم بتوضيح كل شبهةٍ شنّع بها عليه (أي على الشيخ الحاتمي) من غير تحقيقٍ، متمسكاً بالعقل و النقل و الكشف كقضية فرعون ومغفوريته ودعوى الخاتمية لعيسى بن مريم (عليه السلام) ولنفسه، مطلقاً ومقيداً وغير ذلك من (الدعاوي)، الشبهات، وجزمت على أنَّ كلَّ موضعٍ منه (أي من كتاب الفصوص) يكون فيه نكتةٌ أو غلطة أن أشير إليها بطريق الاعتراض والالتزام، ثم أقوم بتوجيهها وتوضيحها وبيان العلة في ايرادها، بمقتضى الطرق الثلاث من العقل والنقل والكشف.»

هذا إلى جانب قدح السيد على شروح الآخرين، حسبنا كي نعتبره عالماً روحانياً متأثراً بالمناهج الأبداعية في فلسفة التصوف مسبقاً ولكنه ليس كبقية زملاءه ممن نتعرف عليهم من خلال الكتب التي تتناول موضوع ابن عربي وكتبه وأتباعه وإنّما ينبغي أن ينظر المرء إليه ساطعاً في سماء ليس ابن عربي قمرها الوحيد وانّما هو ايضاً يتلألأ بجانبه كما سنفصل ذلك ـ ان شاء اللّه ـ في فصلٍ قادم نسميه من الآن بدعاوي السيدوعلى كل حالٍ يجب أن نضفي إلى ماسلف ذكره من السيد في حق ابن عربي:

«وكذلك الحال بالنسبة إلى الشراح الثلاث، فانهم ليسوا بأعظم من الشيخ والحال أنّه عند الشيخ ليس الكامل كاملاً في كلّ شيءٍ وفي كلّ علم؛ بل في معرفة اللّه ـ تعالى ـ وحقائقه فقط وبناءاً على هذا يجوز عليه الغلط (في غير المعرفة باللّه) وعلى غيره من الكمل نبياً أو ولياً كما أشار إليه الشيخ في الفص الشيثيفقال:

«فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كلِّ شيء وفي كل مرتبةٍ. وإنّما نظر الرجال إلى التقدم في رتب العلم باللّه ـ تعالى ـ هنالك مطلبهم. امّا حوادث الأكوان فلا تعلق لخاطرهم بها». وهذا الكلام كان (إيراده في الفص الشيثي) في معرض تخطئة النبي ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ في حكم الأسارى

وإصابة الغير كما سنشير إليه في موضعه. وأمثال ذلك كثيرةٌ في كلامه»[1].

وأكبر الظن أن الخلاف المندلع بين الرجلين إنما تضرب جذوره في أرض الخلاف الدائم بين الشيعة والسنة فعلى الرغم من أن كلَّ واحدٍ منهما يعتبر من أكـبر المنـادين للسلم و السلام مّما قد يوحي إلى القطع بأنهما طارا في سماوات تعلو سماء ألدين الواحد فضلاً عن الفروع الدينية وربّما درسـت شخصياتهما خصوصاً ابن عربي في إطار الدراسات المركزة فيما يسمّى بوحدة الأديان او أتحادها وعلى كل حالٍ فما ورثناه من الشيخ الأكبر ـ لامحالة ـ يدلّ بوضوحٍ على نظرته إلى الأديان وفي مثل هذه الأجواء العقائدية لايتوقع إلّا الالتئام والتوائم وسيادة روح الاتسـاق الفكري والتنسيق الروحي إلّا أننا نجد آثار التصادم واضحة في هذه الساحة من ساحات الفكر أيضاً ومن هنا يمكن أن توعى تلكم الأصول ألتي يرجع إليها الخلاف فحتى مسألة الخاتمية للولاية قد تمثل الجانب الأعمق في هذا المضمار مّما يستدعينا أن نمكث قليلاً على أعتاب هذا الموضوع لنتوجّه باستيعابٍ إلى الخلاف في خاتمية الولاية متناولاً الأبعاد المتعددة والمختلفة لهذا الموضوع.

فابن عربي أعظم شخصيةً وأعمق تفكيراً وأوسع مشرباً من أن ينسب إلى طائفة مذهبية محدّدة دون غيرها مّما يوجب على الكثيرين الاعتقاد بانّه رجل يتحرك خارج الأطر الرسمية للمذاهب وألتي تضم في ضمنها مجموعاتٍ حاشدة من الناس لم يرد اللّه بهم الرقي صعداً إلى هذه المعارج وأمّا الآخرون ممن يشعرون بكامل الالتزام وتمام المسؤولية تجاه مذاهبهم فقد أنقسموا إلى مجموعتين، مجموعة شاءت ان يعتز ركب منتحلي مذهبه بوجود رجلٍ كالشيخ ومجموعة أخرى أظهرت البراءة لتتنصل من رجلٍ قد يجر إليهم الوبال من خلال عقائده الجامحة التي لاتكبحها أزمة التشريعات الدينية. ورجال الشيعة

(١) المصدر، ص ١٧ و ١٨.

أيضاً انتهجوا هذا المسلك في انقسامهم على أنفسهم مؤيدين ومخالفين ومحايدين، اللّهم إلاّ أنّ السيد وعلى ما أبداه من تكريم في حقّه ،واجلال له قد لا نجد مثيليهما في أقوال الآخرين وآراءهم لايقول بتشيع الشيخ[1] وإنّما يمدحه لحبه لآل البيت ـ صلوٰة اللّه عليهم أجمعين ـ معبراً عن ذلك بقوله:

«وإذا تقرّر هذا وتحقق، فلنشرع في الباب الثاني الذي هو في تحقيق اعتقاده في اللّه ـ تعالى ـ وفي أهل بيت النبي (ص) خصوصاً في سلمان (الفارسي) فان الباب المذكور فيه وفي مدحه، هو قوله في أوّل مجلدٍ من الفتوحات:

(بعد ذكر بعض المقدمات يقول، ولّما كان رسول اللّه ـ ص ـ عبداً محضاً قد طهره اللّه وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس ـ وهو كل ما يشينهم، فانّ «الرجس » هو القذر عند العرب، هكذا حكى الفراء قال

(١) تكميلاً لمعلومات القاريء المحترم نورد المترجم مّما أفادنا به الأستاذ الدكتور جهانكيري في كتابه القيم محيي الدين بن عربي چهره برجسته عرفان اسلامي عن علماء شيعة كبارٍ قالوا بتشيّع ابن عربي وذلك بالإختصار:

«إنّ عدداً كبيراً من علماء الشيعة اعتبروه من ألد العدى للشيعة ولاتباع الأئمة (ع) فلاموه كما أن مجموعةً من علماء السنة قالوا بكلمة واحدة إنه (شيعي سوء كذاب) وامّا بعض الإسماعيليين اعتبره من كبار علماء الإسماعيلية وأكبر الظن أنه ليس بشيعي اثنى عشري وآخر الأقوال فيه إنّه ـ لما ظهر منه من شطحياته الصوفية وكلماته في وحدة الوجود خارج عن أطر المذاهب وامّا القائلون بكونه شيعياً فعَدد غير قليل، نكتفي بذكر ثلاثة منهم:

بهاء الدين العاملي

مستنداً بعبارة وردت في الباب ٣٦٦ من الفتوحات تؤكّد على أنّ المهدي (ع) من ولد فاطمة (ع)، وأنه ذا الذي يسعد به أهل الكوفة أكثر من غيرهم و... (يفند هذا القول بقول آخر للشيخ نفسه من أنّه من ولد الحسن بن علي، في حين أنّ مهدي الشيعة من ولد الحسين (ع)

القاضي نور اللّه الشوشتري

راوياً عن السيد محمد نور بَخش قوله (في كتابه مجالس المؤمنين) أنّه لم يكن للشيخ الحرية في الاعراب عن معتقداته لظروفه الخاصة ومما يدل بوضوح على تشيعه أشعار له، هي:

رأيت ولائـــي آل طه وســيلة على رغم أهل البعد يورثني القربى =

ـ تعالى ـ ﴿إنّما يُريدُ اللّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهيراً﴾. فلايضاف إليهم إلّا مطهر ولابدّ، فانّ المضاف إليهم هو الّذي يشبّههم، فيما يضيفون لأنفسهم إلّا من له حكم الطّهارة والتقديس (كسلمان الفارسي)... فما ظنّك باهل البيت في نفوسهم؟ فهم المطهرون؛ بل هم عين الطهارة... فهذه الآية تدل على أنّ اللّه قد شرك أهل البيت مع رسول اللّه ـ ص ـ في قوله تعالى: ﴿ليغفِرَ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَماتَأَخَّرَ﴾وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ؟ فطهر اللّه سبحانه نبيّه ـ ص ـ بالمغفرة. فما هو الذنب بالنسبة إلينا، لو وقع منه ـ صم ـ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى، لأن الذم لايلحق به على ذلك من اللّه ولامنّا شرعاً. فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه مايصحب الذنب من المذّمة، ولم يصدق قوله:

﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فدخل (الشرفاء) أولاد فاطمة كلهم.

ولايظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلّا في الدّار الآخرة فانهم يحشرون مغفوراً لهم. وامّا الدّنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه... وينبغي لكل مسلم مؤمن باللّه وبما أنزله أن يصدق اللّه ـ تعالى ـ في قوله ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْراً﴾ فيعتقد في جميع مايصدر عن أهل البيت أنَّ اللّه قد عفا عنهم فيه. فلاينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم ولايشنأ أعراض من شهد اللّه بتطهيره وذهاب الرجس عنه، لابعملٍ عملوه ولابخيرٍ

= فما طلب المبعوث أجراً على الهدى  بتبليغه إلّا المودّة في القربى

ميرزا محمد الإخباري

وهو محدث شيعي إخباري يسهب في الدفاع عن تشيع ابن عربي في كتابه الكبير لعلم الرجال وهو أيضاً يخصص كتاباً آخر اسماه بـ (ميزان التمييز في العلم العزيز) في الذود عن تشيع الشيخ محيي الدين معولاً في كل ذلك على حجج وبراهين تتطلب الإمعان والتأمل.

(د. جهانكيري، محيي الدين بن عربي جهره برجسته عرفان اسلامي، مؤسّسه جاب وانتشارات دانشكاه تهران، ١٣٦٧، تهران ص ٣٥٧)

قدّموه؛ بل سابق عناية من اللّه ﴿ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذو الفَضْلِ العَظيمِ﴾...

وبعـد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند اللّه وأنه لاينبغي لمسلم أن يذمهم، بما يقع منهم أصلًا فانّ اللّه طهَّرهم فليعلم أن الذم أنه راجع إليه. ولو ظلمـوه فذلـك الظلم هو في زعمه لافي نفس الأمر وإن حكم عليه ظاهر الشرع بادائه...

وهكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعرضه وأهله وذويه فيقابل ذلك كلّه بالرضا والتسليم والصبر ولايلحق المذّمة بهم أبداً. وإن توجهت عليهم الأحكام المقرّرة شرعاً فذلك لايقدح في هذا؛ بل يجريه مجرى التقادير وإنّما منعنا تعليق الذم بهم إذ ميزهم اللّه عنّا بما ليس لنا معهم فيه قدم...

فهذه حقوق اللّه ومع هذا لم يذمهم اللّه وإنّما كلامنا في حقوقنا ومالنا أن نطالبهم به فنحن مخيرون؛ إن شئنا أخذنا وإن شئنا تركنا، والترك أفضل عموماً فكيف في أهل البيت؟وليس لنا ذم أحد فكيف بأهل البيت؟ فانّا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك... ـ أي فيما أصابوه منّا ـ كانت لنا بذلك عند اللّه اليد العظمى والمكانة الزلفى. فانّ النبي ـ صم ـ ماطلب منّا من أمر اللّه ﴿إلاّ الْمَوَدَّةَ في القُربى﴾وفيه سر صلة الأرحام. ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما يسـأله فيه ممّا هو قادر عليه بأي وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته؟ وهو ماأسعف نبيّه ـ صم ـ فيما طلب منه من المودّة في قرابته، فكيف بأهل بيته، فهم أخص القرابة؟

ثم أنّه ـ تعالى ـ جاء بلفظ المودّة وهو الثبوت على المحبّة فانّه من ثبت ودّه في أمر استصحبه في كل حال واذا استصحبته المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرء منهم في حقه ممّا له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبةٍ إيثاراً لنفسه عليها. قال المحب الصادق: «كل مايفعل المحبوب محبوب!»

وجاء (هذا المحب الصادق) باسم الحب فكيف حال المودة؟ ومن البشرى ورود اسم الودود للّه تعالى. ولامعنى لثبوتها (أي المودّة) الاّ حصول أثرها بالفعل في الدار الآخرة...

فلو صحت محبتك للّه ولرسوله أحببت أهل بيت رسول اللّه ـ صم ـ ورأيت كلّ مايصدر منهم في حقك ّمما لايوافق طبعك ولاغرضك، أنّه جمال تتنعم بوقوعه منهم. فتعلم عند ذلك أن لك عناية عند اللّه الذي أحببتهم من أجله، حيث ذكرك من يحبه وخطرت على باله وهم أهل بيت رسول اللّه ـ صم ـ...

رأيت ولائـــي آل طه فريضـــة     على رغم أهـل البعـد يورثني القربى
فما طلب المختار أجراً على الهدى     بتبليغــه الاّ المــودة في القــربى»[1]

واني أعتقد موقناً بأنّ السيد كشيعي مخلص يؤمن بالأصول الأساسية المقـــرّرة في المـذهب الشيعي المتمثلة في عصمـة الأئمـة من ذرية أمـير المؤمنـين (ع) سوف لن يستـطيع أن يقتنع بمثل هذا البيان، فمن المنظار الشيعي هؤلاء خلفـاء رسول اللّه ـ ص ـ وورثته وحاملو رسالته من بعده ابتداءً من علي بن أبي طالب(ع) ألذي يرونه صاحب نص جلي في ولايته من قبـل الـرسـول ـ ص ـ ووصـولاً إلى الحسين (ع) شهيد الحريّة والمبادىء الإسلامية وانتهـاءً الى المهدي المنتظر (عج) الوارد فيه النص متواتراً بانّه هو الذي يملأ الأرض قسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً فهؤلاء بالإضافة إلى مسؤولياتهم الإلهية الثقيلة ألتي يضطلعون بها إنما يحملون في كثير من الحالات عن الناس أوزارهم متجلدين صابرين ومن ثم فمن الطبيعي أن يكونوا هم أصحاب الحق على الناس دون العكس[2] وفي مثل هذه الحالة التقصير أو

---

(١) السيد حيدر الآملي، المقدمات من نص النصوص ، نقلاً عن الفتوحات المكية، ص ١٤٥، كنجينه نوشته هاي ايرانى ٢٢ انستيتو ايران وفرانسه، تهران، ١٩٧٥.

(٢) وقد ارتأيت أن أمشي هنا بعض الشيء على ضوء ماأفادنا به العلامة الفيض الكاشاني من =

القصور إنما ينسبان إلى أشياعهم الذين بتخلفهم عنهم يظلمون أنفسهم اوّلاً والآخرين ثانياً فلاتتحقق حينئذ أي إضاعة من قبلهم لحقوق الآخرين البتةً فتأويل الشيعة للآية الشريفة ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُذهب عنكم الرِّجْسَ ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، تأويل يوشك أن يختلف بتخلفهم تأويل إبن عربي تماماً فهؤلاء معصومون في العالمين ونعني بهؤلاء أبرز المصاديق الذين هم عبارة عن أربعة عشر شخصاً شروعاً من النبي (ص) واميرِ المؤمنين علي (ع) وفاطمة الزهراء (ع) وانتهاءً إلى المهدي الموعود (عج) فهؤلاء لايصدر منهم إلاّ الجميل في هذه الحياة الدنيا فضلاً عن الآخرة، في حين أن كلام الشيخ محيى الدين بن عربي من شأنه أن يفهمنا بأن أهل البيت أُناس قد يقترفون الذنوب عن فهم ليسوا بمعصومين الاّ أن الأقدار شاءت في حقهم أن يحشروا يوم القيامة مغفوراً لهم معفواًعنهم، وهذا الشيء لانراه فضيلةً لهم دون سواهم فانّ للبقية الباقية من الناس أن تشملهم الرحمة الإلهية بالعفو والاغتفار دون أن تكون لهم ميزة القرابة لرسول اللّه (ص) وزد عليه دون أن يكونوا قد ولّوا منصب الخلافة الإلهية ألتي أشفقت السماوات والأرض أن يحملنها فحملها الإنسان، ذلك الانسان الكامل او العالم الصغيرالذي يعتبر أفضل الجلوات لأفضل الأسماء

= أكبر أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر (م. ١٠٩١هـ .) :

«ويجب أن يعلم أنهم ـ عليهم السلام ـ أولو الأمر الّذين أمر اللّه بطاعتهم وأنهم الشهداء على الناس ، وأنهم أبواب اللّه والسبل إليه والأدلاء عليه، وأنهم عيبة علمه وأركان توحيده، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل، وأنهم أذهب اللّه عنهم الرجس ـ يعني الشك ـ وطهرهم تطهيراً، وأن لهم الدلائل والكرامات والمعجزات، وأنهم أمان لأهل الأرض ، كما أن النجوم لأهل السماء، وأن مثلهم في هذه الأمّة كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق، وأنهم عباد اللّه المكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وأنّ حبهم إيمان وبغضهم كفرٌ وأن أمرهم أمر اللّه ونهيهم نهي اللّه، وطاعتهم طاعة اللّه ومعصيتهم معصية اللّه، ووليهم وليّ اللّه وعدوّهم عدو اللّه، وأن الأرض لاتخلو من حجة اللّه ـ تعالى ـ على خلقه إما ظاهر مشهور وامّا خاف مغمور وإلاّ لساخت الأرض بأهلها».

(الفيض الكاشاني، منهاج النجاة، مؤسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ . ق، ص ٤٢ ـ ٤٣)

الإلهية واسم اللّه الأعظم. نعم هؤلاء يمثلون اللّه في الأرض فكيف للناس أن يتصوروهم أناساً ـ لاسمح اللّه ـ اعتباطيين لافضائل لهم الاّ القرب من رسول اللّه، إنّ هذه كلمةٌ هم قائلوها ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون.

وعلى كل حالٍ نجد السيد يمرّ بهذه المرحلة إصلاحاً لذات البين ولكننا لسنا نجده هكذا مسالماً في مواطن تقتضيه أن يظهر في مسرح الوقائع المتلاحقة بمظهر البطل الذابّ عن حرمات بيته ونواميسه مقتحمًا في معتركات الفكر خائضاً في ظلمات البحر اللجي الذي من فوقه موج يغشاه موج ظلمات لايكاد المرء يبصر يده، فهاهو الذي يقول في معرض حديثه عن الخاتمية:

«والحق أن هذين الموضعين ـ أي تعيين خاتم الولاية المطلقة والمقيدة ـ قد أخطأ الشيخ مع عظم قدره وجلالة شأنه وأن الشيخ وإن كان كاملًا في غير هذا الموضوع بالنسبة إلى غيره كان في هذا الموضوع ناقصاً بالنسبة إلى غيره»[1].

وهناك ثلة من القضايا الأخر التي نجد السيد من خلالها لايواجه الشيخ بالتسليم والموافقة وإنّما يفصح عن آراءه في مقابلة تدل على ٱستقلاليته كما أنها تذكر الباحث كرةً أُخرى بانّ الشارح لكلمات الشيخ محيى الدين بن عربي لايزال محتفظاً بمعتقداته الخاصة مؤثراً إيّاها على كل شيء آخر.

إلاّ أننا لانفتيء نتعرض لمشكلة قد تستعصي علينا ممّا يقود بعضاً الى ٱصطناع تبريرات لاتغني عن جوع وهي مشكلة المواجهة لتيارين متضادين في قضية المذهب لدى الشيخ محيى الدين فتارةً نجده يتغنى في نشوة جنانية:

لقد صار قلبي قابلًا كلّ صورة فمرعىً لغزلانٍ ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

(١) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار، كنجينه نوشته هاي إيراني ٦١، انستيتوا ايران وفرانسه، ١٩٦٩، تهران، ص ٤٤.

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين ديني وإيماني

وتارةً أخرى حاكياً لقصةٍ ملء كيانها الإساءة إلى طائفة معينة وهي مايرويها في معرض الحديث عن الرجبيين في فتوحاته[٢] ونحن هاهنا ونحن بها هنا نغض الطرف عمّا لانصبوا إليه مولين وجهنا إلى حيث عالم المحبة، مذكرين بأننا لم نزل غير طاوين بساط الحديث عن مسألة الخاتمية و ـ ان شاء اللّه ـ لنا كلام في هذا الموضوع مفصِّلاً فيما يقدم من الفصول.

ومّما تحسن الإشارة إليه قبل أن نخلف هذه المرحلة وراءنا ظهرياً ـ وهو لايخلو من المناسبة للّذي كنا فيه ـ وهو الكلام عن تشيع السيد بمفهومه المصطلح لدى الشيعة الذي يفهم عادةً حين ينقرع السمع بكلمة الشيعة والتشيع إلّا أن ثمة فارقاً يقول به الشيخ في تعريفه للشيعة وهو لايفرد القوم بالذكر فحسب وإنما يقوم بالتعريف للطائفة الصوفية ليتوضح من

(٢) كشفاً عن المحجوب نورد النص بعينه:

«ومنهم ـ رضي اللّه عنهم ـ الرجبيون وهم أربعون نفساً في كل زمان لايزيدون ولاينقصون وهم رجال حالهم القيام بعظمة اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ وهم من الأفراد وهم أرباب القول الثقيل من قوله ـ تعالى ـ ﴿إنّا سنلقي إليك قولاً ثقيلاً﴾ وسُمّوا رجبيين لأن حال هذا المقام لايكون لهم إلا في شهر رجب... منهم من يكون باليمن والشام وبديار بكر، لقيت واحداً منهم بدينسير من ديار بكر، مارأيت منهم غيره وكنت بالأشواق إلى رؤيتهم، ومنهم من يبقى عليه في سائر السنة أمر ما ممّا كان يكاشف به في حاله في رجب ومنهم من لايبقى عليه شيء من ذلك.

وكان هذا الذي رأيته قد أبقى عليه كشف الروافض من أهل الشيعة سائر السنة فكان يراهم خنازير فيأتي الرجل المستور الذي لايعرف منه هذا المذهب قطّ وهو في نفسه مؤمن به يدين به ربّه فاذا مرَّ عليه يراه في صورة خنزير فيستدعيه ويقول: تب إلى اللّه فانّك شيعيٌّ رافضي فيبقى الآخر متعجباً من ذلك فان تاب وصدق في توبته رآه إنساناً وإن قال له بلسانه: تبت، وهو يضمر مذهبه لايزال يراه خنزيراً، فيقول له كذبتَ في قولك (تبت) وإذا صدق يقول له: صدقت، فيعرف ذلك الرجل صدقه في كشفه فيرجع عن مذهبه ذلك الرافضي. وقد جرى لهذا مثل هذا مع رجلين عاقلين من أهل العدالة من الشافعية ماعرف منهما قط التشيع ولم يكونوا من بيت التشيع أداهما إليه نظرهما وكانا متمكنين من عقولهما فلم يظهرا ذلك وأصرا عليه بينهما وبين اللّه فكانا يعتقدان السوءَ في أبي بكر وعمر ويتغاليان =

خلال هذين التعريفين أن الجمع بينهما؛ بل تصور وحدتهما شيء ممكن وقد يقع:

«لاينبغي أن يتوهم أيضاً من الشيعة الشيعة المختلفة من الفرق الباطلة عند الشيعة أيضاً المتقدم ذكرهم مثل الاسماعيلية و الغلاة و الزيدية وغير ذلـك فانهم ليسـوا بشيعةٍ حقيقةً؛ بل ينبغي أن يتصور من الشيعة طائفة مخصوصة، أعني الذين تقدم ذكرهم وثبت حقيتهم الموسومين با لإثني عشرية، الإمامية المثبتة أصولُهم وقواعدهم في الأصول على النص والعصمة واسنادهم ورواياتهم في الفــروع على النقــل الصحيح من النبي والأئمـة ـ عليهم السلام ـ لأنهم في التحقيق هم القوم الذين ورد في حقهم ﴿فَسَوْفَ يأتي اللّهُ بِقَومٍ يحبُّهم ويحبّونَهُ أذِلّةٍ عَلى ٱلمؤمنين أعِزّةٍ عَلى الكافِرِيْنَ يجُاهِدونَ في سَبيلِ اللّهِ ولايَخافونَ لَومةَ لائِمٍ﴾[1] الآية»[2]

كما أنّ السيد يعرف الصوفية الحقيقيين كالتالي:

«ومنها أن لايتوهم من الصوفية، إذ سمع بذكرهم قبل الإطلاع على أصولهم وقواعدهم الصوفية ٱلذين هم في هذا الزمان لأنهم ليسوا في الحقيقة صوفية كعلماء هذا الزمان أيضاً ليسوا بعاملين حقيقةً؛ بل اذا خطر بخاطره أو سمع من غيره أو طالع من الكتب أحوالهم يتصور منهم أقدمهم وأعلمهم وأعظمهم مثل سلمان الفارسي و اويس القرني و اهل الصفة الذين ورد فيهم ﴿وَلا تَطْرُدْ ٱلـذينَ يَدْعُونَ رِبَّهُمْ بِالغَداةِ وَالعشّي يُرِيْدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِســابِهِمْ مِنْ شَيءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شيءٍ فَتَطْرُدَهُم فَتَكُونَ مِنَ

---

= في علي فلّما مرّا به ودخلا عليه أمر باخراجهما من عنده فانّ اللّه كشف له عن بواطنهما في صورة خنازير...

(جواد تهراني، عارف وصوفي جه ميكويند؟، نقلاً عن الفتوحات المكّيةالجزء الثاني ص ٨، كتابخانه بزرك إسلامي، ١٣٦٣، تهران)

(١) المائدة، ٥٤.

(٢) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار، كنجينه نوشته هاي ايراني ١٦، باهتمام انستيتوا ايران وفرانسه، تهران، ١٩٦٩، ص ٦١٥.

الظَّالمينَ﴾[1] وكذلك المقداد و ابو ذر و عمّار وأمثالهم وبعدهم كميل بن زياد النخعي و أبو يزيد البسطامي و جنيد البغدادي الذين كانوا تلامذة للائمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ وكانوا مريديهم و مودعي أسرارهم كما عرفتَه في الفصل الأوّل.»[2]

نعم، نحن نشاركك أيها القاري الكريم في قناعتك بأن السيد حينما يقدِّم مفهوماً جديداً من التشيع الذي هو محفوف تماماً بأغبرة من الإيجاز إنّما يعارض ذلك المفهوم من التشيع الذي يبتدر في أذهان أناس يكادون يوصفون بانّهم غير طائفة العلماء ،ومن القريب جداً أن يكون للسيِّد ولعددٍ كبيرٍ من دارسي التصوف أن يكون لهم القول بتصوف العلماء الشيعة في بواطنهم ـ بلاوعي ـ وأنّ القوم وإن لم يشعروا بما يهيج في نفوسهم إلاّ أنّهم يميلون تلقائياً إلى التصوف لنزعات مذهبية شيعية لانكاد نظفر بمثلها في المذاهب الأخرى ونحن حين نتحدث عن الشيعة هنا إنما نرمز بهذه الكلمة إلى طائفة كبيرة من المسلمين اشتركوا في أصل الخلافة الظاهرية والباطنية لأمير المؤمنين علي (ع) بما فيهم الإسماعيلية والإثنى عشرية و... فهؤلاء جميعاً لما ذهبوا إلى معصومية الإمام إنّما انتحلوا عقيدة،هي الضرورة الملحّة إلى وجود معلم بريء من الأرجاس والأدناس، يتلقى التعاليم مباشرةً من الوحي الإلهي أو المعبر عندهم عنه بالإلهام بعد الرسول (ص) فالبشرية كلّها جمعاء مفتاقة إلى إنسان كامل قد تبلورت فيه الجلوات الإلهية المورثة من الاسم الأعظم او الصادر الأوّل وهو الانسان الكامل فلدى الشيعة لابد من وجود هذا الإنسان ليهتدي به الناس . هذا مانطقت به ألسنتهم فملئت كتبهم الكلامية مشحونة من أدلة وبراهين يحتجون بها على خصومهم

(١) الأنعام، ٥٢.

(٢) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار، كنجينه نوشته هاي ايراني ١٦، انستيتوا ايران وفرانسه، ١٩٦٩، تهران، ص ٦١٤.

المكابرين ـ على حد تعبيرهم ـ فالإمامة تعتبر من الأعمدة الأساسية ألتي تشكّل عندهم ميزةً ممتازة من الميزات ألتي تفرق بينهم وبين الآخرين بحيث عدَّ بعضهم هذا الرأي لديهم الوجه الأكثر تحديداً لهم من غيرهم لأن العدل ـ وان كان لهم فيه مع المعتزلة بعض الإشتراك ـ لايصلح أن يكون نقطة يتفق عليها عددٌ كبيرٌ من الطوائف الإسلامية ،فهم مع الشيعة فيها مشتركون ومن ثمَّ تأتي الإمامة كأوضح المقومات للهوية الشيعية وان هذه الهوية لاتتكامل إلّا بها فهي من جوهريات هذا المذهب وأن إطلاق اسم الشيعة الإمامية على طائفة من القوم ـ على الرغم من سعتهم ـ لايخلو من تجوز اذ أنّ الشيعة بكاملها صالحة لأن تطلق عليها الإمامية فهم جميعاً قالوا بالإمامة الإلهية والخلافة الربانية بعد الرسول الأعظم (ص) والدراسة التي تهدف إلى الغوص في أعماق العقيدة الشيعية يجب أولاً أن تتركز فيما يتصل بقضية الإمامة وإنني متأكد تماماً من أن جميع مايتفرع عن الأصول الشيعية يمت بصلةٍ إلى موضوع الإمامة ،فمن جانب نسمع صدى يدوّي في الأسماع للعقائد الروحية الشيعية فيما ترسخ عندهم من أفكار كلامية يلتزم بها الشيعي المخلص من خلال صفات يعدّها للامام وهي في الحقيقة تعتبر نتائج مباشرة وغير مباشرة لكلمات الأئمة أنفسهم فأثرت إلينا وامّا من الجانب الآخر فمعظم العقائد الشيعية أو جميعها طفقت تظهر في ساحة الافكار من خلال الأحاديث والمأثورات التي توارثها الاجيال واحداً بعد آخر، احاديث ومرويات قدستها الشيعة فعقدوا لها حلقات دراسية بحثاً وفحصاً وتفتيشاً عما هو الصحيح وعما هو بعده الأصح منها فانشعبت بعده ،ومنه علوم مختلفة كا لرجال و الدراية و ... وهكذا لايمكن ـ اطلاقاً ـ أن يتغافل أحد أو يتناسى الدور الأهم للامامة في مسرح الحياة الشيعية.

وبعد هذا كله ننتهي إلى أن هذا الإعتقاد اليقيني كان من شأنه أن يصنع من الشيعة طائفة تنصاع منقادة لإوامر مقدسة لا تصدر من جانب

الرسول (ص) فحسب وانّما من جانب معصومين هم الأئمة[1]،فان قيل إنّهم رواة أحاديثه ليس الاّ ولكنهم في الوقت عينه مستغنون عن الإسناد المعهود لدى أصحـاب الحديث وعلى كل حال، المهم أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى هذا النمط من الإسناد في أحاديثهم وهكذا من يخلفونهم أناساً صلحاء ترتأي الأمّة أن يكونوا ممثليهم ومندوبيهم فهم ينقلون عنهم ولكنْ غير مضطرين إلى هذا الضرب من الإسناد ممّا يعني أن لهم الحرية في التحرك واتخاذ القرار المتلائم والموقف ،فهذه البسطة في أيديهم تجعلهم يقتدرون على القيام بدور ريادي قيادي في الأخذ بأيدي السالكين والسير بهم. وهكذا نبلغ مقاماً قد يسعنـا أن نحسبه ملتقى غير رسمي بين التصوف والتشيع فرجال الشيعة بالإضافة الى ولاءهم العقائدي التقليدي، للأئمة، تجيش في قلوبهم عواطف

(١) وقد وضع هذا الموضوع على طاولة البحث عند الشيعة حقباً من الزْمان طويلة فانهم قد عدّوا الإمامة ـ كما نوهنا ـ أهم قضاياهم والميزة المميزة بينهم وبين الآخرين فتناولوا هذه المسألة باسهاب وتفصيل في كتبهم الكلامية وغيرها ونحن هنا نكتفي بمثال فيما يخص هذا الشأن:

«هداية في الدليل على الأئمة

إنّ ماذكـرناه في بيان الإضطرار إلى النبي فهو بعينه جارٍ في الإضطرار إلى أوصيائهم وخلفائهم الأئمة من بعدهم إلى ظهور نبيٍ آخر؛ لانّ الإحتياج إليهم غير مختص بوقت دون وقت آخر، وفي حالة دون أخرى، ولايكفي بقاء الكتب والشرائع من دون قيّم لها، عالم بها. ألاترى إلى الفرق المختلفة كيف يستندون في مذاهبهم كلها إلى كتاب اللّه، لجهلهم بمعانيه وزيغ قلوبهم وتشتّت أهواءهم؟ فظهر أنّه لابدّ لكل نبيٍ مرسل بكتاب من عند اللّه ـ عز وجل ـ أن ينصب وصياً يودع فيه أسرار نبوته وأسرار الكتاب المنزل عليه ويكشف له مبهمه ليكون ذلك الوصي هو حجة ذلك النبي على قومه ولئلا تتصرف الأمة في ذلك الكتاب بآراءها وعقولها فتختلف وتزيغ قلوبها، كما أخبر اللّه ـ عز وجل ـ به فقال: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب؛ منه آيات محكمات هن أُم الكتاب وأخر متشابهات. فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعـون ماتشـابـه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ومايعلم تأويله الاّ اللّه والراسخونَ في العلم﴾٢ ـ ٧ فالرسول والإمام والكتاب هو الحجّة على الأمة: ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بيّنة﴾الانفال ـ ٤٢».

وإلى هنا تتجلى لنا وجهة نظر الشيعة حول الإمام فيما يتصل بالحكمة الإلهية المقتضية =

رقيقةً وأحاسيس خفيفةً بالنسبة إلى هؤلاء فهؤلاء لايمثلون،فحسب،أقدس الاشياء عندهم وإنّما أحبها إليهم، والحب هذا قد يكون هو الدافع الأوقع في آنسياق الرجل الشيعي وراء التيارات التي يزعمها مقتضيات حتمية لمذهبه وأصوله. والنقطة آلتي تثير الاهتمام وتلفت النظر أن روايات متكاثرة تأتي لتنصب في التأكيد على أن محبة الأئمة للّه محبة تتمثل في مصاديق معينة ،أبرزها امير المؤمنين علي (ع) وزوجته السيدة فاطمة (ع) وابناهما فمن المنظار الشيعي المستلهم من الروايات أن من أحب هؤلاء فقد أحب الرسول (ص) ومن أحب الرسول فقد أحب اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ ومن الطبيعي أن يظفر المقارن لهذين التيارين الفكريين نمطاً من التّقارب الجوهري في قضية الحب وتدرّجه إلى اللّه سبحانه وتعالى فثمة عناصر في التصوف من شأنها أن توحي إلى هذا التقارب، محبة الشيخ أو الفناء البدائي فيه أو قضية (المجاز قنطرة الحقيقة) أو الحب للمجاز ينتمي أخيراً الى الحب للحقيقة، هذه كلّها قد تمثل الجانب الابرز لهذا التقارب.

---

لوجود قائد يقود مسيرة الأمّة بعد الرسول ولكننا نتعرض هناك لدليل آخر وهو ألطف من سابقه في الايحاء إلى المقصود المرمي إليه:

«وجود الإمام لطف:

وأيضاً وجود الإمام لطف من اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ لعبيده، اذ بوجوده يجتمع شملهم ويتصل حبلهم، وينتصف الضعيف من القوي والفقير من الغني، ويرتدع الجاهل ويتيقظ الغافل، قال اللّه ـ تعالى ـ : ﴿وإن من أمة إلاّ خلا فيها نذير﴾ الفاطر ـ ٢٤، وقال ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ولكل قوم هادٍ﴾ الرعد ـ ٧، وقال: ﴿يوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾ النحل ـ ٨٩، وقال النبي (ص): (في كل خلف من أمتي عدلٌ من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الغالين وأنتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

(الفيض الكاشاني، منهاج النجاة، مؤسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ . ق ص ٣٨ ـ ٣٧).

وليس من المستعصي أن يفهم من كل هذا أن الشيعة لايرون أنفسهم خلواً عن الحاجة إلى من يأخذ بأيديهم سالكاً ومرتقياً بهم في درجات المعرفة.

إضافة الى هذا فسلوك الأئمة أنفسهم يعتبر من أكبر المكونات للنزوع الصوفي في الروح الشيعي لاسيما سلوك امير المؤمنين (ع) ذا الرجل العظيم ٱلذى تعزى إليه مناشيء السلاسل الصوفية وطرائفها وأيضاً كسوة الخرق فانه لامحالة ـ كان يحمل معه مقومات الشخصية ٱلتي تميل اليها الروح الصوفية الجانحة إلى التعالي وهذا أمر يعترف به التاريخ نفسه مجلياً ذلك كلّه في زهدٍ وصل الرجل إلى أعلى قممه، وإن ذهبنا إلى أن الميل إلى الزهد والجنوح إلى التقشف كانا هما اللذين قد صبغا كثيراً من الزهاد بصبغةٍ نسمّيها التصوف اليوم فلنتأكد بتاتاً من أن الرجل (ع) كان قائد مسيرتهم وقدوة سلوكهم. وممّن دعوا إلى أنه هو المبدأ لتحرك الطرائق الصوفية السيد حيدر الآملي وعلى كل حالٍ عيشةً علي المتواضعة واقواله في معرفة اللّه ومواعظه في التوبة والاستغفار ومن أن الثاني لايقبل إلاّ من خلال شروط وظروف لايتصدى لها الاّ المعتكف المنقطع إلى اللّه المشتغل بالرياضات. وكذلك تعامله المنصف مع الناس ، كل هذا جاء ليكوّن شخصية من أروع الشخصيات التاريخية التي استحقت أن يطأطىء له رأس الخشوع من لم يلاين الملوك والجبابرة حتى في المقال. او الامام الحسين (ع) وهُوَ أليق الناس بان يتتوج بتاج سيادة الشهداء، وهو نفسه صاحب الكلمة الخالدة التي يخاطب بها صنوف الجيوش المتكاثفة المزدحمة المصطفّة أمامه (إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم)،والحرية من القيود التي تغل الأرجل فتزجرها من السير العلوي هي التعليم الدائم الذي طالما نادى به رجال التصوف فغاية مايطلب عندهم بغيةً مرضية هي التحرر من الدنيا حيث الفناء منها والبقاء به ـ تعالى ـ هذا هو الحسين(ع) لم ينطق بكلمةٍ فارغة ولم يرد أن يرفع شعاراً فارغاً لإنقاذ نفسه فحسب وإنما عرض على من خلفوه بوضوح جلاء ما فوقها وضوح وجلاء أن من تشبده إلى

الأرض أية علاقة ليثاقل إليها يستطيع أن يتحمل المصاعب العظام بكل تجلدٍ وصبر ولو كانت ثمة علاقة تدعو إلى الدنيا لما كان يشهد له التاريخ تقديم أصحابه وأبناءه وذويه قرابينٍ وبذل مهجته للامتناع والإستنكاف عن المفاوضة في قبول بيعة طاغية من الطواغيت يعثو في الأرض فساداً ليهلك الحرث والنسل الأمر الذي من مداليله أنّه (ع) كان يسعى حثيثاً للالتحاق ذوباً وفناءاً بحضرة القرب الإلهي وهو في كلِّ ذلك لا يكتفي بتذكير القوم الألداء باسلامهم ودينهم واتباعهم للرسول الأعظم وإنّما يدعوهم للاياب إلى ميثاق فطرتهم وأنفسهم ليعوا وعياً بانّ الحرية لاتسمح لهم أن تقترف أيديهم هذه الجريمة النكراء التي ليس من مؤداها القتل والنهب فحسب وإنّما أخطر مؤدياته هو الإبتعاد الشائع عن الحضرة الإلهية وفيما يذكر عن الحسين (ع) وهو في آخرلحظات الحياة الدعاء للأمة لا عليها، مّما يلقي الضوء بوضوحٍ على روحٍ تسامت إلى درجاتٍ لايكتنهها إلاّ الراسخونَ في العلم. فالتضحية والإيثار على النفس يجدان أبرز مصاديقهما في الحسين وهذا يجعل من كلِّ شيعي يتعاطف مع إمامه تعاطفاً ضرورياً لفطرته كالذي يتلمّس لمحاتَ البطولة لافي الإقدام والشجاعة فحسب وإنّما في التضحية والإيثار اللذين يفوقان الشجاعة والإقدام إذ أنّهما قيمتان ذاتيتان لاكالبسالة أو القدرة أو الإقدام ألتي تتبع نوايا أ صحابها، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

نعم هكذا يشعر الشيعي من سويداء قلبه أنه اداء للحق الواجب الذي يثقل على كاهله تجاه إمامه ومقتداه، يجب أن يضحي بالغالي والرخيص وأن يؤثر الآخرين على نفسه وأن لايخرج أشراً ولا بطراً وإنما إصلاحاً لشؤون الناس . وها هو الحسين (ع) الذي يمضي شهيداً ولكنه يخلف ولداً صالحاً زيناً للعابدين لايكاد يقترب من الصلاة الاّ ويقشعر له الجلد خشية اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يوشك أن يدخلها حتى يصفر له اللون متحلقة روحه طائرة في سماوات النور فليتأمل المتأمل في صحيفته السجادية وهل

يبقى له أن يفرق بين ما يطالعه من متعالي الكلمات الدعائية ٱلتي كان الإمام يناجي بها اللّه إسراراً وإعلاناً وبين ماينسب إلى بعض المتصوفة من كلمات يخاطبون بها اللّه سبحانه، كلمات تحكي مايجيش في ضمائر أصحابها من ودٍ ومحبةٍ وإخلاص نابع منها...

فمن الطبيعي أن نعطي الحق لأناسٍ يقولون بالتصوف في باطن رجال الشيعة هناك في منطقة لاوعيهم اللّهم إلاّ إذا حسبناه أعني التصوف نظاماً من هذه الأنظمة التي تضم في ضمنها ثلة من القضايا المثّبتة ٱلتي لاتبديل ولا تحويل إلاّ بوحي من أصحابها والاّ فهو مكتّب روحي متأطر في ضمن مجموعة من الحالات الروحية ٱلتي تختلف من شخص لآخر لايمكنها أن تبعد كثيراً عن منطقة يسودها الحب والحنان.

وأنا متأكد تماماً بانّ السيد لم يكن ينظر لا إلى الشيعة والا إلى الصوفية نظرة العلماء العاديين وهو في ذلك لايفرق بينهما في الحديث.

«ومنها أن هذا الكتاب مشتملٌ على أعظم أقوال الصوفية والشيعة ومعارضاتهم ومجادلاتهم، وأقوال علماء الظاهر أيضاً استشهاداً وأقوال الأنبياء والأولياء ـ عليهم السلام ـ كذلك. وكان الغرض من ذلك أن يصير الشيعة صوفيةً و الصوفية شيعة والمعلوم أنّ هذا أمر صعب وشغل خطير لأنّ كل واحد منهما في (حيّز)ضيّق لايمكن اخراجه إلاّ بألف حبل من حبال البراهين العقلية والإستشهادات النقلية منضمة إليها الإستدلالات الكشفية والدلائل الذوقية، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وإنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لايُؤمنُوا بها وإنْ يَروْا سبيل الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبْيلًا﴾[1] فحينئذٍ لاينبغي أن يشنع أحَدٌ على صاحبه بانّه قد أكثر من نقل كلام الغير فيه، لأن في كل نقل حكمة بالغة ونكتة دقية لايعرفها إلاّ أهلها.

(١) الأعراف، ١٦٦.

وأيضاً لو لم يسمع الشيعة كلام الصوفية بألفاظهم المعيّنة، لما اطمأنت قلوبهم وكذلك الصوفية، لأنهم (أي الصوفية) يريدون أيضاً أن يسمعوا كلام الشيعة بعباراتهم المعينة، وبعد ذلك لو لم ينضم إلى هذه الأقوال قول اللّه وقول الأنبياء والأئمة والعارفين من عباده، لما اطمأن قلب أحدٍ منهم ومن غيرهم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكـلاً نقصُّ عَلَيكَ مِنْ أَنبـاءِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ﴾[2]» [3]

وبهذه الكلمات التي يردف السيدبكل مهارة بعضها بعد بعض آخر لايبقى مجالاً للارتياب في معتقده من أنّه لم يكن لِيذهب إلى ما يعطيه بعض من صفات الاطلاق للصوفية فيجعلونهم في منطقة لايجرأ أَحَد الإقتراب منها استعظاماً لمكانتهم العليا فالرجل كما يرى الشيعة يجلهون حقائق التصوف، يرى المتصوفة أيضاً يتجردون عن العلم الملم بحقائق التشيع وهكذا نثقف السيد دائماً يتحدث عن قضايا مختلفة في مواضيعها ومفاهيمها وهو لا يهدف في الوقت ذاته إلى رمي التشيع دون التصوف أو رفض أَحدهما دون الآخر او الإثبات لاحدٍ دون آخر فهو يمشي في طريق وسط يكاد يخيل إلينا أنّ الرجل كان يبصر نظاماً عقائدياً وفكريا وروحياً وأخلاقياً متميزاً هو التشيع وهو التصوف فالتصوف لب لباب الحقيقة كما أن التشيع كذلك، ذلك رجوعاً إلى اصولها الأولى ورجالها الأولين. نعم ثمة خلافات قد تطفح على السطح بشكل أو آخر بين التصوف والتشيع إلاّ أن هذه الخلافات لاتردع الدارس المقارن من مشاهدة المشابهات المتكاثرة التي تحكي عن ضرب الإشتراك فيها يتجذر في نفوس أصحاب الطائفتين فهؤلاء الصوفية ـ طيلة تاريخهم الطويل ـ لم يبدوا من أنفسهم شيئاً ممّا تفهم منه الإساءة اللاذعة إلى اهل

(٢) هود، ١٢٠.
(٣) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار، الخاتمة في الوصية، كنجينه نوشسته هاي إيراني ١٦، انستيتو ايران وفرانسه، ١٩٦٩، ص ٦١١.

البيت (ع) وزد على ذلك أنّ أعداداً كبيرةً من القوم كانوا جد فخورين بانهم ينتهـون في أنسـابهم إلى أُولئـك الشرفاء. ومن كان منهم ينتمي إلى أسرة الرسول (ص) يقدم على أصحابه في الفضل.

على كل حالٍ فلنعرض عن الإطالة في هذا الحديث صفحاً لما أشرنا إليه سابقاً من أن أحب الأشياء إلينا أن نظفر على نقاط يمكن أن يستدعى اليها الجميع صوفياً كان أم شيعياً، أشعرياً كان أم اعتزالياً اقتداءاً بالسيد نفسه الذي أفصح ـ اكثر من مرة ـ عن نواياه المصلحة والّتي استطاع أن يجليها ببراعة وتبحر وبذا فقد قدّم الى عالمي التشيع والتصوف تصوراً جديداً ليس ببعيد عما يصبو اليه كلا الطائفتين.

# دعاوي السيد

وامّا المختار عندنا ونحن فيهذه المحطة من حديثنا مع القارىء اَن نتكلم قليلًا عما أظهره السيد من دعاوٍ فالذي يمرّ بكتبه في شوارعها وأزقتها يجد أن هناك مكبرات كثيرة تسبح بحمد السيد وتعد فضائله التي يمتاز بها عن العلماء التقليديين والأولياء وإنّما عن البشرية كلّها جمعاء كما أنّه يمكن العثور على صور متعددة من مّحياه المتلألأ ولوحاتٍ فنية كلّها بيانات تنطق بلسان الحال والمقال بفضائل السيد وهي في الوقت ذاته تحمل توقيعه بالذات فهذه ظاهرة تموج في ثنايا كتبه وآلتي تدعو بدورها الى تدقيق اكثر وتعمق أعمق في منشأها، نعم أننا شاهدنا بأمهات أعيننا وسمعنا بملء آذاننا الى الشطح الطالع إلى قممه وذراه مشايخ عظام كبايزيد البسطامي والحلاج غير أنّ كلمات السيد تأتي في معظم الأحاديث متعرية عن الميزات المعروفة للشطح[1] وإنّما

(١) «وإن سأل سائل فقال ما معنى الشطح فيقال معناه عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته وبيان ذلك أن الشطح في لغة العرب هو الحركة يقال (شَطَحَ يَشْطَحُ) اذا تحرك ويقال للبيت الذي يحوزون فيه الدقيق المِشطاح قال الشاعر:

قف بشط الفرات مَشْرَعةِ الخيل ... قبيل الطريق بالمشطاح

بالطواحين من حجارة بطريق ... بدير الغِزلان دير الملاح

وإذا لاح بالمسناة ظبيء ... قد كساه الإشراق ضوء الصباح

فأقرِ ذاك الغزال منّي سلاماً ... كلّما صاح صائح بفلاح

وإنّما سمّي ذلك البيت المشطاح من كثرة ما يحركون فيه الدقيق فوق ذلك الموضع الذي =

أكثر مايستوحي منها أنها من قبيل الثناء على النفس والإطراء عليها وحين كان هذا النمط من الثناء مكروهاً لدى الأولياء في غير مايقتضيهم الوقت والحال وخصوصاً فيما إذا كانــوا قد نفــوا من أنــفــســهــم هذا الـضــرب من الأحــاديث فحينئذٍ لايبقى لنا الاّ المكوث والتريث تروياً وتأملاً في مصادر هذه الكلمات لدى السيد. فهو يدعي في كتبه الكمال الكامل لما خطته يداه من ناحيتين؛ الناحية اللفظية والناحية المعنوية وأما من الناحية اللفظية نستمع إليه وهو يقول:

«ثم أمرني (الحق) بتأويل القرآن الكريم فكتبته بعد هذا كلّه فجاءَ في سبع مجلداتٍ كبار، وسمّيته بـ (المحيط الأعظم و الطود الأشم في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم). وذلك خرج في غاية الحسن والكمال، وظهر في غاية الفصاحة والبلاغة بعناية الملك ذي العزة والجلال بحيث مايسبقني أحدٌ بمثله، لا ترتيباً ولا تحقيقاً ولا تلفيقاً. وقد سبق بيانه في (الفهرست) أيضاً»[٢].

= ينخلونه وربّما يفيض مــن جانبيه من كثرة ما يحركوّنه فالشطح لفظةٌ مأخوذة من الحركة لأنها حركة أسرار الواجدين اذا قوى وجدهم فعبّروا عن وجدهم ذلك بعبارةٍ يستغرب سامعها فمتون هالك بالإنكار والطعن عليها اذا سمعها وسالُم ناجٍ برفع الإنكار والبحث عما يشكل عليه منها بالسؤال عمن يعلم علمها ويكون ذلك من شأنها ألا ترى أن الماء الكثير اذا جرى في نهرٍ ضيق فيفيض من حافتيه يقال شطح الماء في النهر، فكذلك المريد الواجد اذا قوى وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة أنوار حقائقه يسطع ذلك على لسانه فيترجم عنها بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعيها الاّ من كان من أهلها ويكون متبحراً في علمها فسمّي ذلك على لسان أهل الإصطلاح شطحاً.

(أبو نصر عبداللّه بن علي السراج الطوسي، اللمع في التصوف، مطبعة بريل، ليدن، ١٩١٤، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦).

(٢) السيد حيدر الآملي، نص النصوص ، المقدمات، كنجينه نوشته هاى ايراني ٢٢، انستيتو ايران وفرانسه، تهران، الطبعة الأولى، ص ٥٢٧.

وأما ملاحظتنا هاهنا أن الكثيرين ممن أستقامت لهم العربية وذلل لهم جماحهـا بما حصلوه من ملكة التذوق للحسن دون القبح وللمستقيم دون المعوج منها، فقد أقروا منصفين أنه على ما للسيد من كبر في الشخصية وعظم في المكـانة ولكنّه لم ينسج على منوالٍ في الكتابة يرتضيه جماعة الفصحاء والبلغاء، فلربّما تلكم المسألتان الخطيرتان اللتان يشير اليهما السيد نفسه هما ما يقضي بصـرامـة على تخلفـه من مقتضيات الـذوق الفصيح والـطبـع البليغ مما جعله يعترف بنفسه مقراً بهذا الموضوع وهما العجمة و التكرار.

«ومنها أنه لاينبغي أن يحكم أحدٌ بتكرار فيه لفظاً أو معناً فانّه لو تحقق لعرف أنّه ليس تكراراً؛ بل فيه حكمة وسر ونكته ورمز يتوهم أيضاً بعض الجهال هذا المعنى في القرآن الكريم لتكرار الآيات فيه، كقوله: ﴿فبأيّ آلاءِ ربّكما تُكَذِّبانِ﴾[1] وكقولِه: ﴿مَتى هذا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ؟﴾[2] وأمثال ذلك وليس (هو في الحقيقة) كذلك، لأن القرآن لايمكن فيه تكرار لفظٍ ولا كلمةٌ ولا آيةٌ أصلًا لأنه على صورةِ الوجود كلّه وليس فيه تكرار (لا) صورة و (لا) معنىً، لأن الصورة ألتي وجدت لايمكن مثلها أبداً ولا أزلاً وكذلك المعنى. وهذا البحث مفروغ منه.

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّـه واحـدٌ

وهذا يعلم من تفسير ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

ومـع ذلك فحيث نحن ـ في مجموع هذا الكتاب ـ في (صدد) إثبات مطلوب واحدٍ الذي هو التوحيد، فلو تكرر لفظ او تكرر معنى فلا يكون فيه عيبٌ لأنه بالحقيقة لايكون تكراراً؛ بل يكون مشابهاً أو يكون سهواً أو يكون فيه معناً آخر. ومثاله أني ذكرت كلام علي ـ عليه السلام ـ وهو قوله (اوّل

(١) الرحمن، ١٣.

(٢) يونس، ٤٨.

الدين...) في موضع لاجل إثبات الصفات ومعلومٌ أن هذا (كلّه) ليس بتكرار، والإعتماد في ذلك على أهله لاغير والسلام!

ومنها أنّه اذا وجد أحدٌ في تركيبه وألفاظه عجمة اولكنة (فيمكنه) أن يقوم باصلاحه إن كان من أهله ولاينسب صاحبه إلى الجهل بمعناه، فانّ هذه الطائفة لاتعتبر بلاغة الألفاظ وجزالة التركيب (غرضاً أصيلاً)؛ بل غرضهم إيصال المعنى (المقصود) إلى المستحقين خالصاً مخلصاً للّه تعالى ـ لا إظهاراً لفضيلة ولا استشهاداً بالفصاحة ولابلاغة كما تقدم في باب التوحيد فعلى أي وجهٍ اتفق وعلى أي لسان ظهر فهو جيدٌ.

عباراتنا شتى وحسنك واحدٌ
وكلٌ إلى ذاك الجمال يشير

... فإذن لاينبغي (لهم) أن يذمّوه (أي كلام المصنِّف) بركاكة الألفاظ وضعف التركيب، فإنّه (أي المصنِّف) مقر بذلك وهو في قدم العذر (والعذر عند كرام الناس مقبول).»[1].

ونحن اذ نعذر السيد لمثل هذه العيوب التي تنجلي لكل أحدٍ في كلامه نندهش في الوقت عينه اذ نسمعه يدعّى بأن بعض كتبه ليس من عنده كما أنه لم يعمل فكراً في إنشاءه. وإنّما هو من الفيوضات الربانية والإلهامات الغيبية، والقرائن المحيطة بكلامه أيضاً تؤيد صحة ما نفهمه من ادعائه في مصدر الكتاب الملقى اليه ومنشأه. ولكنّا نجد مثل تلك العيوب والنواقص أيضاً في بعض الكتب تلك فالطريق أن نلقي نظرةً عابرةً في هذا الادعاء الذي من شأنه أن يحكي أوّلاً مدى الدعوى التي تتم على لسان السيد وثانياً نسبته آثاره إلى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ أحياناً:

(١) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، كنجينه نوشته هاى ايراني، انستيتو ايران وفرانسه الطبعة الأولى، ١٩٦٩، تهران.

«وبعد أن حصلت لنا المضاهاة في الكتب أيضاً مع النبي (ص) ومع الشيخ (ابن عربي) ـ قدس اللّه سره ـ: أمّا المضاهاة مع النبي فلأناقدبينّا أنّه كان للنبي ـ صم ـ كتابان: النازل عليه والصادر منه. امّا (الكتاب) النازل فالقرآن وأمّا (الكتاب) الصادر فالفصوص .وبينّا أنهما عديما المثال والنظير في نوعيهما، وانحصار نوعيهما في شخصيتيهما. وامّا الشيخ (الأعظم) فقد بينا أيضاً أنَّ له كتابين: الواصل إليه والصادر منه. امّا (الكتاب) الواصل إليه فالفصوص وامّا (الكتاب) الصادر منه فالفتوحات. وبينّا أنهما عديما المثال والنظير في نوعيهما، وانحصار نوعيهما في شخصيتيهما.

وامّا الّذي لنا فذلك أيضاً كتابان: الفائض علينا والصادر منّا. امّا (الكتاب) الفائض علينا فهو (التأويلات للقرآن الكريم) المشتمل على العلوم والمعارف الإلهية القرآنية من أنفسها وأشرفها، المحتوي على الرموز والكنايات المصطفوية والدقائق والحقائق المحمدية الصادق عليها ما قال الحق في حق بعض عبيده الخاصين: (أعددت لعبادي الصالحين مالاعينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ) ومن ثم صار (هذا الكتاب) موسوماً (بالمحيط الأعظم والطود الأشم في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم) وصار مرتباً على مجلدات سبعٍ كبارٍ تبركاً بسبعةٍ من الأنبياء الكبار وسبعةٍ من الأقطاب وبسبعة من الأبدال بحيث تكون مقدماته مع الفاتحة مجلداً واحداً وكل سدس منه (أي من القرآن) مجلداً آخر. وهذا كالفصوص بالنسبة إلى الشيخ الأعظم وكالقرآن بالنسبة إلى النبي (ص) وترتيبه أنه مرتب على تسعة عشر من المقدمات والدوائر لأن المقدمات سبعة والدوائر أثنا عشر تطبيقاً (أي مطابقة) بالعالم الصوري والمعنوي والكتاب الأنفسي والكتاب القرآني، فانَّ كل واحدٍ من هذه العوالم والكتب منحصر في تسعةَ عشر مرتبة لقوله ـ تعالى ـ (عليها تسعة عشر) وتحقيق هذه (الأمور) كلها يعرف من الإطلاع عليه (يعني على هذا الكتاب) وعلى مافي ضمنه.

وامّا (الكتاب) الصادر (منّا) فهذا الشرح، وإن لم يخل من الفيض فانّه أيضاً جامعٌ لعلوم كثيرة ومعارف جّمة وهو مرتب كما بينّاه على سبعة وعشرين دائرة مجدولة وعلى أبوابٍ وفصولٍ متنوعة وأنواعٍ وأقسامٍ متعددة وهو بازاء الفصوص بالنسبة إلى النبي ـ صم ـ وبازاء الفتوحات بالنسبة إلى الشيخ (الأعظم) ولذلك وقعا عديمي المثل والنظير في نوعيهما، وآنحصار نوعيهما في شخصيهما، ككتابيهما وكما صار أساس فضيلة الشيخ (الأعظم) مبنياً على الكتابين المذكورين، صار أساس فضيلتنا مبنياً على الكتابين المذكورين و ﴿الحمد للّه ٱلذّي هَدانا لِهذا وما كنّا لِنَهْتدي * لولا أن هَدانا اللّه﴾[1]. ﴿ذلك فضل اللّه يؤتيه من يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العظيم﴾[2]».

ما اكبر هذه الدعوى وما أشد وقعها في القلوب سلبياً وإيجابياً فإنها تتحدى العلماء من جانب تحديا يقض عليهم مضاجعهم ويسلبهم الراحة ويدعوهم للتصدي عمليا لها؛ امّا تثبت له الأفضلية وإمّا تدمغ حجة خصمهم التي لاتكاد تصلح حجةً لعدم صلاحيتها للاخذ بها كدليل يمكن التعويل عليه وإنّما هي مجرد كلمات يتفوه بها إنسان قد أُوتيَ حظّه من العلم وحتى ما يدعيه الرجل من نسبة كتاب فصوص الحكم إلى النبي (ص) لايوشك أن يجد لنفسه مدافعين كثراً لانّه قولٌ في غاية الخطورة يؤدي إلى الاعتقاد بانّ مايسمى بكتاب فصوص الحكم يصلح أن يكون ملاذاً وملجأً للمسلمين ولمن آمنوا باللّه وبالنبي (ص) فيما اذا آشتدت عليهم الظلم أو تأزمت عليهم الأمور فلهم أن يهتدوا بالنصوص كما أنّ لهم الإهتداء بالقرآن والفاحص المتعمق لايغيب عن باله ماذكره العلماء من أن هناك اكثر من مطلب يتباين والنصوص القرآنية في الفصوص فردّوا عليه وعلى صاحبه ردوداً تتسم بالشدة

(١) الأعراف، ٤٣.

(٢) الحديد، ٢١.

والخشونة مما جعل بعضهم يعتقد أن منشىء الفصوص ـ وهو عندهم بلاشك ابن عربي ـ كافر خارج عن إطار الشريعة الإسلامية المقدسة فتأويلاته للآيات القرآنية والنصوص آلتي طالما حاول المسلمون الاحتفاظ بعينها حرفاً فحرفاً يبذلون مهجهم مجانبة لحدوث الانحراف في الأمة الاسلامية الفريدة في الخلوص والإخلاص الايمانيين، هذه التأويلات تضاد ـ على مايبدوا لهؤلاء ـ هذه الغاية فالمسؤولية تجاه الأمة ـ كورثة الأنبياء ـ دائمًا جعلت عيون العلماء الحقيقيين ساهرة والسنتهم ناطقة واستعداداتهم تبرع في الكتابة الذابة عن القرآن والحديث وعن كلِّ مايمت بصلة إليهما مستميتين في الحفاظ على ميراث الرسول (ص) الروائي كيلا تغشى أبصار الناس أغطيةٌ وحجب تردعها عن النظر إلى الوجه المشرق والمحيّى الصبيح للرسّول الأعظم وكيلا تطفق تعاليمه الإلهية بالظعن من خواطرهم ونفوسهم فالنزاعات والخلافات والمشاكسات آلتي تشدّدت لديهم حتى تحولّت إلى ضجةٍ لايزال دويّها في المسامع والتي أدت أحياناً الى نشوب حروب طاحنة واقتتالات همجية ـ إن لم تكن حصيلة أهواء موسوسة في الصدور ـ فهي في كثيرٍ من الحالات كانت وليدة هذه الأهواء إلاّ أننا في هذا الوسط يجب أن لانتغافل دور الحماس الديني في الذود عن المعتقدات التي كان أصحابها يعزونها إلى رسول اللّه (ص) مدعين أصالتها دون غيرها، يجب أن لانتغافل عن دور هذا التحمس الجياش لدى المسلمين في التأثر بعوامل الإثارة بعضهم بضد بعض آخر، التحمس آلذي استطاع أن يقود حركة المسلمين بنجحٍ في الحروب الصليبية. فالحفيظة لدى القوم لم تكن تثار الإّ عندما كانوا يشعرون بأنّ ثمة انحرافاً بدأ يتغلغل نفوذاً في صفوف المسلمين بوحي من أنفسهم أو إشارة من الآخرين والحقيقة أن الحروب قد آندلعت لتجر معها الويلات إلى يومنا هذا إلى العالم الإسلامي إلاّ أنها وإن كانت في معظم الحالات ناشبةً نتيجة التحركات المشكوك في إخلاصها ولكنّها أيضاً ماكانت خلواً عن عامل خطير

هو عدم الوعي الاسلامي والاستيعاب الديني والصحوة السياسية لدى المسلمين فالمبادىء الاسلامية أصبحت منذ زمن بعيد عرضة السهام ٱلتي كانت تتوجّه إليها من كلّ حدبٍ وصوب لأهداف مختلفة في أنواعها ومتفاوتةٍ في نوايا أصحابها ولئن قلنا بالاخلاص والايمان لجم غفير من القوم إلّا أن هؤلاء أيضاً ماكانوا ليعوا حق الفهم أن تصرفاتهم ٱلتي يحسبون أنهم يحسنونها صنعاً ماهي إلّا أضرار فادحة تلحق بالجسم الجريح للأمة ـ الإسلامية ولربّما التنبىء لمثل هذا الحادث الجلل قد تجلى عند النبي الأعظم (ص) حين حذر الناس من التورط في الفتن ٱلتي تنتجها الابتداعات في الدين الإسلامي وأنذرهم من الاتيان بما لم يصح ثبوتاً أنّه مّما يرضى به اللّه ورسوله، والاخبار الحافلة بالنهي عن الابتداع تحظى بحصتها الكبيرة من التواتر عند القوم مّما أنطق الألسنة وحول الأقلام عند كل قوم وحزب وجنسيةٍ من المسلمين بالإعتراف والخضوع أمام حقيقة لايمكن العبور من جانبها متغاضياً وقد يعتبر من اهم العوامل المحركة لقضية الابتداع وهو الوضع في الحديث والتأويل غير المستند للقرآن الكريم، وكلا الأمرين منهيٌّ عنهما في صيغة تمتاز عن النهي العام للابتداع علمّا من صاحب الشرع بانهما يمثلان الجانب الأعظم لظاهرة الابتداع إن لم نقل بانهما الابتداع بعينه فالقرآن الكريم والسنة الوضيئة المتمثلة في الأحاديث والمرويات والمأثورات إنّما يشكلان المصدرين الوحيدين للمعرفة عند المسلمين كلهم وان ذهبت طائفة إلى الأخذ المباشر من اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ الّا أن أحداً لم يقل بمناقضة للمصدرين ولئن وجد ثمة تناقض فهو ظاهري لايمت بصلة إلى بواطن القرآن والحديث ولنا مناقشة نتعرض لها فيما بعد، وعلى كل حالٍ لقد عرف الصوفية مذ بداياتهم في تكونهم العقائدي بثلاثيةٍ في الاصول ٱلتي ثبتوها كثوابت وأيضاً

قد عرفوا بأنهم أصحاب التأويل[1] ومن ثم توجه اليهم ملام وتعيير كبيرين

(١) أحد أبرز المتأولين للقرآن الكريم ـ بناءاً على الكثير من العلماء ـ هو الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي فالتأويل لديه يبلغ حداً لايكاد أحدٌ يجد معه بداً أن يحيد من الإقرار بمبالغته في الموضوع وأن الأمر لايبقى في الإطار الذّي يتحرك في ضمنه الفقهاء والمتشرعة وإنما يسري إلى أناس اّدعوا لأنفسهم عدم الانحياز والتلبس بالحياد وقد ترجمت مواقفهم في ذلك مقالاتهم في كثير من الحالات كالاستاذ الراحل الدكتور أبوالعلا العفيفي ، فهو من خلال مقدمته للفصوص يكرس قسمًا خاصاً ليجري مسهباً فيما أمتاز به الشيخ في تبلور هذه الظاهرة لديه ممّا يجعل الإستيعاب التأويلي أداة مؤثرة في الخوض في آثاره وأفكاره.

أما أنواع التأويل وطرائق توظيفه ـ لدى المتصوفة الآخرين ـ لتبرير المعتقدات فتشكل جانبا هاماً للدراسات اّلتي تهدف إلى التعرف على التصوف كظاهرة متجذرة في أرض التاريخ الإسلامي فالإشارة الى ما أفاده الاستاذ العفيفي لا تخلو من مناسبة:

«يقول العلامة نيكلسون في وصف أسلوب إبن عربي في الفصوص :

(إنّه يأخذ نصاً من القرآن أو الحديث ويؤوله بالطريقة التي نعرفها في كتابات فيلون اليهودي و اريجن الإسكندري. ونظرياته في هذا الكتاب صعبة الفهم وأصعب من ذلك شرحها وتفسيرها لأن لغته اصطلاحية خاصة، مجازية معقده في معظم الأحيان، وأي تفسير حرفي لها يفسد معناها... ولا تخلو طريقة تأويله للآيات من تعسف و شطط أحياناً لاسيّما إذا عمد إلى الحيل اللفظية في الوصول إلى المعاني اّلتي يريدها، كان يقول في الفص الأيوبي إن المراد بالشيطان في قوله ـ تعالى ـ (إني مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب) هو البعد، وإنّ ماشعر به ايوب لم يكن ألم المرض اّلذي اّبتلاه اللّه به؛ بل ألم عذاب الحجاب والجهل بالحقائق، أو يقول في الفص الموسوي إن المراد بقول فرعون (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) لأجعلنك من المستورين لأن السين من أحرف الزوائد، فاذا حذفت من سجن بقيت (جنّ) ومعناها الوقاية والستر...

وعماده في كل ذلك أنّه يتكلّم بلسان الباطن، الذي هو في الحقيقة لسان مذهبه، ويترك الظاهر الذي يعبّر عن عقيدة العوام. فهو يقابل دائمًا بين هذين اللسانين كما يقابل بين العقل والذوق؛ العقل الذي هو لسان الظاهر، و الذوق الذي هو لسان الباطن.

وقد أنتهزت كل فرصة لتشن عليهم هجمة شعواء ذريعة تأويلهم للحقائق القرآنية والحديثية فضلاً من أن يكون للقوم ادعاء الاتيان بكتاب من عند اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ يوازي الكتاب الاسلامي الكبير[1] المعترف به معجزة

ثم أنه يتمشى مع القرآن في تسلسل آياته في القصص ، متبعاً طريقة التأويل ألتي أشرنا إليها: يخرج من القصة ثم يعود إليها ثم يخرج منها ثم يعود إليها، شارحاً، معلقاً متفلسفاً، شاطحاً، أحياناً مستطرداً في أغلب الأحيان. وكثيراً مايكون استطراده لمناسبات لفظية بحتة)».

( أبو العلا العفيفي، تعليقاته على فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، صص ١٤ ـ ١٣).

والطريف ما ينقله هو نفسه حذراً من مغبة التهم ألتي سعى بعض معارضيه أن يتهموه بها في ترجمان الأشواق ، إرجاع كل ما قاله في الكتاب إلى الأخذ بالتأويل:

كلّ ما أذكره من طلل   أو ربوع أو مغانٍ كلّ ما
أو خليل او رحيل أو ربي   أو رياضٍ او غياضٍ أو حمى
أو نساء كاعبات نُّهد   طالعات كشموس أو دمى
كلّ ما أذكره مما جرى   ذكره أو مثله أن تفهما
صفة قدسية علوية   أعلمت أن لصدقي قدما
فاصرف الخاطر عن ظاهرها   وأطلب الباطن حتى تعلما

(محي الدين بن عربي، ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، طبعة بيروت، سنة ١٣٧٢ هـ.ق، ص ٥).

(١) يستدعينا الموقف كي نقص عليك أنباء إبن عربي في كتابه فصوص الحكم الموضّحة بأنه أخذ الكتاب من صاحب الشريعة؛ بل هناك ما يقضي على أكثر من هذا وهو السماع من اللّه ـ تعالى ـ نفسه. وهذا هو الموضوع ألذي نظفر به لأول مرة لدى الشيخ الأكبر فنجد بعده السيد حيدر مقتفياً أثره وهو يخاطبنا بقضية مماثلة ولا يكتفي بذلك وإنّما يدعي المضاهاة بينه وبين الشيخ من جانب وبينه وبين النبي الأعظم(ص ) من جانب آخر في ذلك وامّا ماقاله إبن عربي في شأن فصوصه الباعث على انعقاد الفكرة لدى السيد فهو كما يلي:

النبي (ص) لدى الأُمة بكامل أفرادها. فهذه جريمة لايعفى عنها وإنما تقتضي صاحبها أن يستعد لتلقي النكال العظيم والعقاب الأليم.

والحقيقة أن كل ما يتخذه الآدمي معياراً لتحديد الحق ولتمييزه عن

«أمّا بعد، فإنّي رأيت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وثلاثين وستمأة بمحروسة دمشق، وبيده ـ صلّى اللّه عليه وسلم ـ كتاب، فقال لي: (هذا كتاب فصوص الحكم خذه وآخرج به إلى الناس ينتفعون به) فقلت السمع والطاعة للّه ولرسوله ولأولي الأمر منّا كما أمرنا، فحققّت الأمنية وأخلصت النية وجردّت القصد والهمّة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدّه لي رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ من غير زيادة ونقصان، سألت اللّه ـ تعالى ـ أن يجعلني فيه وفي جميع أحوالي من عباده الذّين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يخصني في جميع ما يرقمه بناني وينطق به لساني وينطوي عليه جناني بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي في الروع النفثي بالتأييد الإعتصامي؛ حتى اكون مترجماً متحكمًا، ليتحقق من يقف عليه من أهل اللّه أصحاب القلوب إنّه من مقام التقديس المنزه عن الأغراض النفسية ألتي يدخلها التلبيس. وأرجو أن يكون الحق لّما سمع دعائي قد أجاب ندائي، فما ألقى الّا ما يلقى إلي، ولا أنزل في هذا المسطور الّا ما ينزل به علي. ولست بنبي ولا رسول ولكنّي وارث ولاخرتي حارث.

فمن اللّه فأسمعوا وإلى اللّه فأرجعوا
فاذا سمعتم ما أتيت به فعوا
ثم بالفهم فصلو مجمل القول وأجمعوا
ثم منوا به علي طالبيه لا تمنعو
هذه الرحمة التي وسعتكم فوسعّوا

ومن اللّه أرجو أن أكون ممن أيد فتأيد وقيّد بالشرح المحمدي المطهر فتقيد وقيّد، وحشرنا في زمرته كما جعلنا من أمته».

(محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٧ـ٤٨).

الباطل يملي عليه أن لايتبع خطوات كل أحد نطق بادعاء أو قام بتحرك لايذعن به العقل البشري لأنّه يؤدي مباشرة إلى أن يتيه الناس ضلالاً في بيداوات الهيام فالناس في معظم الأحيان يواجهون مشاكلهم اليومية وآلتي بدورها تزجرهم عن التفكير العميق في الآيات الآفاقية والأنفسية، هذا فضلًا عن اشتباه الطرق لديهم ووجوب البحث عمّن يأخذون بايديهم ليهدوهم إلى الحق سبيلًا بين جماعة كثيرة كلهم أصحاب دعوى ورسالةٍ. وعلى الرغم من أنا لاننكر شيئاً ممّا ينتمي الى القوم ولكنهم هم أنفسهم قد ذهبوا إلى أن كلماتهم لايعلمها الاّ الراسخون في العلم وأنها تكشف القناع عن أسرار إلهية لايجوز لاحدٍ إفشاءها.

«وأعلم أيها الطالب هداك اللّه إلى سبيله وأرشدك إلى طريقه ـ أن هذا الكتاب مشتملٌ على معظم أ سرار اللّه ـ تعالى ـ وأسرار أنبيائه وأوليائه ـ عليهم السلام ـ ومشتمل على لبها وخلاصتها وحسنها وأحسنها، دقيقها وجليلها آلتي لا إذن لأحد في كشفها وإظهارها إلاّ عند أهلها، ولا إجازة لهتك سرّها وكشف قناعها الاّ بين يدي صاحبها الذي هو اهلها لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللّهَ يأمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّو الأمانَاتِ إلى أَهْلِها﴾... وهذا أمر، أمر الله ـ تعالى ـ به عباده المخلصين من الانبياء والأولياء ـ عليهم السلام ـ وبالغ معهم. وأمرهم أيضاً أن يأمروا بذلك ويبالغوا فيه. ولذلك لم يزالوا آمرين به مبالغين فيه، حتى قالوا: (افشاء سر الربوبية كفرٌ، وهتك أسرار الألوهية زندقة). وقالوا: (لاتضعوا الحكمة عند غير أهلها، فتظلموها؛ ولا تمنعوها من أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الشفيق يضع الدواء موضع الداء). وقالوا:

(فمن منح الجهال علمًا أضاعه

ومن منع المستوجبين فقد ظلم)

وأقوالهم الشاهدة بذلك وإشاراتهم الدالة عليه أشهر وأظهر من أن

يخفى على أحدٍ»[1].

أجل الامر كما أشار إليه السيد. فان الصوفية قد قاسوا طويلاً من المحن والفتن ٱلتي ٱنجروا إليها من خلال شطحات ودعاوى أظهروها ممّا هدى أصحاب السياسة الشرعية الى مايجري في بواطنهم فأخذوهم أخذا وبيلاً وأصدق شاهد على المقال مصير الحلاج المفعم بالعظات والعبر لمن خلفوه من بعده متصوفة وغيرهم، ولربّما تنصل عدد غير قليل من الصوفية عن الشطح حذر التورط فيها تخشى عواقبه ومن منهم مارسوا الشطح بذل غاية جهده أن يتملص شطحه من المحركات الاثارية وهم يكتمون في أنفسهم نفس الاشياء ٱلتي طفت على لسان الحلاج لائحة بادية وقد يتأسفون لذلك النكال المولم ٱلذي أُذيقه الرجل متجرعاً، فهذا هو حافظ الشيرازي لايعرف له جريمة غير افشاءه الأسرار الإلهية بيد أن هذا كلّه لايفي دليلاً مبرراً حتى لدى الصوفية أنفسهم لأن يبوحوا بمثل هذه الأسرار منهم ٱعتبروا هذا الإفشاء للاسرار والذي قد يتراءى مباينا لظواهر مخالفة توجب العقاب في الدنيا والآخرة ونحن في الصدد نستوضح رأي السيد في الموضوع:

«وأسرار اللّه ـ تعالى ـ كلّها أماناته في أرضه وقلوب أوليائه كما ستعرفه، فاوصيك بكتمانها وإخفائها وصية واجبة تحفظ بها نفسك ونفس غيرك من الضرر العاجل الذي هو القتل أو الصلب أو الرجم والضرر الآجل الذي هو النّار أو السخط أو العذاب لأن الإهمال بالأمر الواجب موجب للسياسة الشرعية في الظاهر والسياسة الإلهية في الباطن بمقتضى حكمته ومشيئته و ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾»[2]

وبهذا نلفي السيد يعترف بأنّه يلهج بتلك الكمالات التي يستحق بها

(١) (٢) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الانوار، انستيتو ايران وفرانسه، ١٩٦٩، صص ٢٠ـ١٩.

ـ بناءاً على اعترافه ـ السياسة الشرعية عاجلًا اذ أنّه لايخص أحداً بطريقة أو أُخرى بقراءَة الكتاب ومطالعته فهو بين أيدي الناس جميعاً ولكل أحدٍ الخوض عميقاً في مطالعة الكتاب سواءً أكان في قلبه مرض أم لم يكن وسواء أكان ممن يستأهل لقراءة الكتاب أولاوحتى أن عدداً غير قليل من أحاديثه تفوح منها روائح الشطح والرعونة وله أيضاً ثمة مبررّات نرفقها بما نورده من دعاويه هاهنا وامّا ـ فيما يبدو ـ من أعظم اقواله في هذا الصدد مايلي:

«واللّه لو صارت أطباق السموات أوراقاً وأشجار الأرضين أقلاماً، والبحور السبعة ـ مع المحيط ـ مداداً والجن والإنس والملك كتاباً، لايمكنهم شرح عشر من عشير ماشاهدتُ من المعارف الإلهية والحقائق الربانية الموصوفة في الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشرٍ) المذكورة في القرآن: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفيَ لَهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ جَزَاءاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

ولا يتيسَّـر لهم بيان جزءٍ من أجزاء ماعرفت من الأسرار الجبروتية والغوامض الملكوتية المعبر عنها في القرآن ﴿بما لم يعلم﴾ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿اَقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ اَلذّي عَلَّمَ بِالقَلَم الإنْسانَ مالَمْ يَعْلَمْ﴾[2] المومى اليه أيضـاً بتعليم الـرحمن لقوله ـ تعالى ـ: ﴿الرحمن عَلم القرآن، خلق الإنسان، علَّمهُ البيان﴾[3] المسـماة بكلمات اَلتي لاتبيد ولا تنفد لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ لَوْ كـان البَحْرُ مداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفَدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمـاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[4] ولقوله ـ تعالى ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ ما في الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِذَتْ كَلِماتُ اللّهِ، إنَّ اللّه عَزيزٌ

(١) السجدة، ١٧.

(٢) العلق، ٣ و ٤.

(٣) الرحمن، ٤.

(٤) الكهف، ١٠٩.

حكيمٌ﴾ [١] [٢].

أو قوله:

«وعرفت سر قول نبيّنا ـ صلى اللّه عليه وآله ـ: (**الطُّرُقُ إلى اللّهِ بِعَدَدِ أنفاس الخَلائِقِ**) وقول امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: (**العلم نقطة كثرها جهل الجهال**) وصارت كالهيولا القابلة صور العقائد كلّها. وهذا كثير جداً لانه من قبيل قول النبي ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ: (**أرنا الاشياء كما هي**) الذي هو أقصى نهاية مراتب التوحيدِ وأعلى مدارج الكشف ﴿**ذلك فَضْلُ اللّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الفَضْلِ العظيمِ**﴾.

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
اذا لم يكن قلبه إلى دينه دانِ
لقد صار قلبي قابلاً كلّ صورة
فمرعىً لغزلان وديراً لرهبان
وبيتاً لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالدين ديني وإيماني» [٣]

ونحن على الرغم من تعرضنا هاهنا لدعاوي السيد ولكنّنا عاثرون على نقطة خطيرة أيضاً هي روايته لاحاديث ضعّفها عدد غير قليل من علماء الشيعة، وحتّى في أحيانٍ فندّوها ونحن اذ لانقضي بحكم صارمٍ في هذا الموضوع، نعترف بان السيد ـ من المعهود لديه ـ أن يورد مرويات كهذه في مطاوي كتبه ومنها الحديث الآتي أعلاه (الطرق إلى اللّه بعدد أنفاس

(١) لقمان، ٢٧.
(٢) المصدر، صص ٧ـ٦.
(٣) المصدر، صص ٦ـ٧.

الخلائق) وربّما اعتبر بعض مناوئي الصوفية الإستمساك بهذا الضرب من الاحاديث اللا متفق عليها، اعتبره تشبّث الغريق بالحشيش خشية الغرق، وعلى كل حال فالعرفاء أيضاً لم يصمتوا أمام هذا الامر وأجابوهم بردود تتفق ومذهبهم في ترجيح الذوق والإشراق قائلين بان الاحاديث التي لايعرف لها إسناد متين إمّا هي صحيحة وامّا ليست بصحيحة وفي كلا الحالتين يقبل علينا الذوق غوثاً في تحديد مدى الصحة وأنه الوحيد الذي يهدينا الى صحة حديث لم يظفر له أصحابه باسنادٍ ومن تلك الزمرة حديث (الطرق إلى اللّه بعدد أنفاس الخلائق)(١).

وعلى أي حال نجد السيد وإن أظهر البراءَة لمرات عديدة من الرعونة والدعوى ينتهج نفس المسلك الذي طواه الآخرون من أصحاب الدعاوي

(١) ونحن هنا ننقل كلاماً لأحد المعارضين المأخوذ بحديثهم في علم الحديث وصاحب الباع الطويل في هذا العلم آية اللّه السيد شهاب الدين النجفي المرعشي حيث قال:
«فلمّا راج متاعهم (الصوفية) وذاع ذكرهم وراق سوقهم تشعبوا فرقاً وشعوباً وأغفلوا العوام والسفلة بالحديث الموضوع المفترى (الطرق إلى اللّه بعدد أنفاس الخلائق)... عصمنا اللّه وإياكم من تسويلات نسجة العرفان وحيكة الفلسفة والتصوف وجعلنا وإياكم ممن أناخ المطية بأبواب أهل بيت رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ ولم يعرف سواهم آمين آمين».
وبهذه المناسبة بودّي لو أذكر بعض ما كتبه آية اللّه المرعشي بشأن التصوف والشيعة المتصوفين:
«عندي أن مصيبة الصوفية على الإسلام من أعظم المصائب تهدمت به أركانه وأنثلم بنيانه وظهر لي بعد الفحص الأكيد والتجول في مضامير كلماتهم والوقوف على ما في خبايا مطالبهم والعثور على مخبياتهم بعد الإجتماع ،برؤساء فرقهم أن الداء سرى إلى الدين من رهبة النصارى فتلقاه جمع من العامة كالحسن البصري والشبلي ومعروف وطاووس والزهري وجنيد ونحوهم ثم سرى منهم إلى الشيعة حتى رقى شأنهم وعلت راياتهم بحيث ما أبقوا حجراً على حجر من أساس الدين، أوّلوا نصوص الكتاب والسنّة وخالفوا الأحكام الفطرية العقلية وألتزموا بوحدة الوجود بل الموجود...».
(الشيخ جواد تهراني، عارف وصوفي جه مى كويند؟، نقلا عن تعليقات آية اللّه المرعشي على كتاب إحقاق الحق، كتابخانه بزرك إسلامي، الطبعة السادسة، ١٣٦٣ هـ.ش ، ص ٣٣_٣٢_٣١).

الكبيرة والسيد نفسه متنبه إلى هذه النقطة فيقدم ـ بين فينةٍ وأخرى ـ تبريرات تسعى لإبعاد الظنون التي قد تجد سبيلها معبداً للنفوذ في نفوس القراء فيقول مثلاً:

«وصرت كما صرت جامعاً بين الشريعة والحقيقة حاوياً بين الظاهر والباطن واصلاً إلى مقام الاستقامة والتمكين قائلاً قولَ من كان مثلي من أرباب اليقين وأهل التحقيق (الْحَمْدُ لِلّهِ ٱلَّذي هَدانا لِهذا وَماكُنّا لِنَهْتَديَ لَولا أَنْ هَدانا اللّهُ) شعر:

كانت لقلبي أهواء مفرقة    فأستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده    وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم    شغلاً بذكرك يادِيني ودنيائي

وليس ذلك بدعوى ولارعونة؛ بل تحدثاً بنعم اللّه ـ تعالى ـ وألطافه لقوله ـ تعالى ـ ﴿وَأَمّا بِنِعمَةِ رَبّكَ فَحَدّثْ﴾[(١)] وتذكراً بكرم اللّه ـ تعالى ـ وألطافه لقوله ـ تعالى ـ ﴿وذَكِّر فَانَّ الذِّكرى تَنْفَعُ الْمُؤْمنينَ﴾[(٢)] ومع ذلك، كل ماتحدث من هذه الاقسام في هذا الكتاب ـ ومثل هذا الكتاب ـ أضعافا مضاعفة بمرار متعددة، لايكون الاّ ذرة من جبل وقطرة من بحر، لأن نعم اللّه غير قابلة للاحصاء، لقوله ـ تعالى ـ ﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ لاتُحْصُوها﴾[(٣)] [(٤)].

هكذا يدفع السيد عن نفسه نسبة الأقتراب أو التلبس بالرعونة والدعوى ولاعلينا الاّ المضي قدماً لنترك المجال للقاريء المحترم تدبراً فيها

(١) الضحى، ١١.
(٢) الذاريات، ٥٥.
(٣) ابراهيم، ٣٤.
(٤) السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، كنجينه نوشته هاى ايراني ١٦، انستيتو ايران وفرانسه، ١٩٦٩، تهران، صص ٦ـ٥.

تفوه به لسان الرجل من كلمات يفهم منها كل انسان عادي أنها غير مصطبغة بلونٍ من الدعوى ونحن اذ لانزمع أن ننفي التواضع الباطني للرجل لانقتنع بان يكون مثل هذا غير دعوى. وفي موطن آخر وهو في معرض الاعتزاز بآبائه يتكلم كلاماً فيه ضرب من التأثر ببعض خطب علي (ع).

«فيكون هو (النبي) وأهله وأشرف الموجودات وأعظمها وخلاصة أهل العالم وأكملهم لاسيما نفسه وخليفته، العالم الرباني الذي صرح بهذا في (خطبته الافتخارية) وقال (أنا آية الجبار، أنا دليل السماوات، أنا أنيس السبحات أنا خليل جبرائيل، أنا صفي ميكائيل، أنا قائد الأملاك، أنا سمندل الأفلاك، أنا صادق الوعد، أنا حافظ الرعد، أنا البرق اللموع، أنا السقف المرفوع إلى قوله: (أنا وجه اللّه، انا جنب اللّه، أنا يد اللّه، أنا الاوّل، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن، إلى آخره.

وظاهراً بالنسبة إلي (أنه) لايكون بعيداً إن قلت في هذا المقام ماقاله السيد الرضيّ ـ رحمه اللّه ـ في خطبته:

أولئك آبائي! فجئني بمثلهم
اذا جمعتنا ياجرير المجامع»[1]

فالكمال كل الكمال يتوقع من كل مايصدر من رجلٍ بلغ هذا الشأن العالي فصاحةً وبلاغةً وغوراً وتحقيقاً و... لأنّه لم يكن ليكتب عن وحي قلمه وإنّما هي فيضانات إلهية كانت تتبلور فيها تسطّره يداه خطوطاً مضيئة تحكى الحقائق الوجودية الّتي لايتحمل الاحاطة بها الاّ من نظر اللّه إليهم بعين لطفه وعنايته، أجل كل هذا هو المرقوب توافره في آثار السيد ومؤلفاته. وأنا أيضاً بدوري كدارسٍ بسيط لآثاره لايسعني الخروج عن دائرة الحياد والجنوح إلى جوانب تميلني إليها النفس وإنّما غاية جهدي هي الحصول على

(١) المصدر، صص ١٠ـ١١.

معـول يمكن الإتكال عليه في كل قضيةٍ من القضايا ٱلتي تمت بصلة إلى الـرجـل وٱلتي تنم عن جانب من جوانب شخصيته. وفي هذا الموضع من الدراسة أحرص على التوصل إلى نتيجة معينة وقناعة محددة في مذهب السيد في الدعاوي.

امّا صفوة القول أخيراً فهو أن الرجل ماكان ليرغب في الظهور بمظهر الشطاح الذي تغلب عليه الحال فتنسل عن قالب شخصيته العادية لينقلب إلى شيء آخر أعلى وأسمى ممّا هو فيه فينطق بكلمات رعونية يقبلها بعض بٱنشراح الصدر وطلاقة الوجه ويواجهها بعض آخر ـ وهم الأقوون ـ بكلّ انزعاج وٱستياء مكفهري الوجه وامّا الطائفة الثانية كما المعهود منها لم تكن لتتصدى لمثل هذه الدعاوي الّا تصدي الثائر الغضبان المدافع عن حرمات اللّه والذاب عن نواميسه وهو يرابط في حدود الشريعة ليحافظ على الثغور من أي اعتداء محتمل فان وجد أثراً من هذا الاعتداء ٱستعمل كل قواه ليقلعه من جذورٍ[1] وقد يكون هذا هو السائق الاهم الذي يرد السيد دائمًا

(١) وفي هذا الصدد قد عثرنا على نص جلي لرجل عالم عاصرناه وعرف في المعاهد الشيعية بعـارف يميل إلى الحقائق الباطنية وٱلذي امتازت شخصيته عن بقية العلماء بالتروي في حقائق ما ورائية لم يكن ليتدنى منه الآخرون ولربّما ٱعتبر الرجل من أكبر رواد الطريقة العرفانية التي طالما لم تلق اهتماماً في الأوساط الشيعية في الآونة الأخيرة وهو آية اللّه السيد محمد حسين الطباطبائي وعلى رغم ذلك كله نجده يذود عن الأصالة الأسلامية بعباراته التالية:

«وإذا كان القوم يدعّون أموراً من الكرامات ويتكلمون بأمورٍ تناقض ظواهر الدين وحكم العقل مدعّين أن لها معاني صحيحة لا ينالها فهم أهل الظاهر، ثقل على الفقهاء وعامة المسلمين سماعها فأنكروا ذلك عليهم وقابلوهم بالتبري والتكفير، فربّما أخذوا بالحبس أو الجلد أو القتـل أو الصلب أو الـطرد أو النفي، كل ذلك لخلاعتهم واسترسالهم في أقوالٍ يسمـونّها أسـرار الشريعة، ولو كان الأمر على ما يدعّون وكانت هي لبُّ الحقيقة وكانت الظواهر الدينية كالقشر عليها وكان ينبغي إظهارها والجهر بها لكان مشرع الشرع أحق برعاية حالها وإعـلان أمرها كما يعلنون، وان لم تكن هي الحق فماذا بعد الحق إلّا الضّلال».

(السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، من منشورات جامعة المدرسين

منقلباً على عقبيه ليرتد عمّا يدعيه أحياناً ليعلن على رؤوس الأشهاد ـ وهو صاحب المقالات التي مررنا ببعضها ـ أنّه لاينفكّ عن عيوب وأخطاء وأنّه ككل أحدٍ آخر يفتقر محتاجاً إلى الاصلاح لأخطائه... وخطاياه فلنصغ إليه:

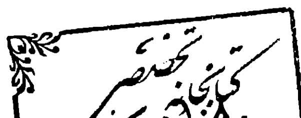
«فالمسئول من علماء أهل الذوق وأساطينهم والملتمس من ملوك أرباب الكشف وسلاطينهم أن ينظروا في هذا الكتاب نظر تنقيح وإصلاح لانظر مسامحةٍ وإغماض وأن يتصرفوا فيه تصرف الشيخ في تلميذه لاتصرف المحب في محبوبه لأن ثمرة هذا ـ بالحقيقة ـ لايرجع إلاّ إليهم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفرانَ لِسَعْيِه وَإنّا لَهُ كاتِبونَ﴾[1] وفائدته لاتصل بالتحقيق الاّ إلى حضرتهم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أنّي لاأُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بِعضِكُم مِنْ بَعضٍ ﴾[2] شعر:

جزى اللّه خيراً من تأمل صنعتي
وقابل مافيها من السهو بالعفو
وأصلح ماأخطئت فيها بفضله
وفطنته واستغفر اللّه من سهوي»

وهذه إجابة لسؤالٍ طرحه هو نفسه قبل هنيهة من الوقت حين كنا نتحدث عمّا يشكل على صاحبنا من الناحيتين الصورية والمعنوية تحت عنوان ملاحظات فوجدناه في كلا الناحيتين صاحب دعوى من جانب وصاحب عذر من جانب آخر ممّا أجرينا وراءه أذيال الحديث بما فيه الكفاية ـ ان شاء اللّه ـ.

في الحوزة العلمية، قم المقدسة، الجزء الخامس ، ص ٢٨١).
والّتي تسترعي الإنتباه كلمة (أسرار الشريعة) على الرغم من أن هناك أكثر من عامل يدرأ هذا الإحتمال.

(١) الأنبياء، ٩٤.
(٢) آل عمران، ١٩٥.



# من هم اهل البيت لدى السيد وماهي مكانتهم عنده؟

مما لايتطرق إليه ريب أنّ الرجل كما حدثنا به نفسه مراتٍ عديدة وكما يشهد له التاريخ كان عريقاً في التشيع، فمولده مدينة آمل أنجبت عدداً كبيراً من العلماء الشيعة كمعالم وأعلامٍ منقطعي النظير مّما يدل بجلاء على نقاوة وصفاء الاجواء ألتي ترعرع القوم فيها كما أنّه يدل على الهدوء والسكينة اللتين كانوا ينعمون بها في هذه المنطقة. وفضلاً عن ذلك كلّه أنه وليد عائلة تعتز فخورة بانها من ذرية الرسول محافظة على مايسمى عندنا بـ(شجرة نامجـة) العـاكسة لسلسلة آبائهم كأشد مايكون ومن ثم أنطبعت شخصية السيد بنحو من الزهو تجاه هؤلاء الآباء الأشراف الأبرار الذين تقدسهم الشيعة تقديساً لانكاد نعثر على مثله في النحل الأخرى. فكل المكونات الروحية من البيئية والاجتماعية والعائلية أجتمعت لتصنع منه شخصيةً شيعيةً تلمعت فيما بعد بفضل جهوده الشخصية المجتهدة في الرقي العلمي.

## كتبه

إن ّمما يثير العجب المشابهة العظيمة ٱلتي توجد بين صاحبنا وبين الشيخ الأكبر في كل ناحية وبُعد وتقديمًا لدليل في هذا الصدد نستشهد بكثرة مؤلفاته كما أن الشيخ أيضاً كان كثير التأليفات ولكن الامر يتطلب ضرباً من التريث لنتروّى حقا فيما ينكمن وراء هذه الظاهرة، فان كل من استقام له التصوف بالمعنى المتبادر في الأزمنة الخالية كعصر الشيخ والسيد فقد استحب التجرد على الأنشغال بالملهيات الدنيوية، والاستغراق في الرياضات التي هي مجموعة من العمليات يقوم بها سالك الطريق الصوفي ليحطم في نفسه أصنام الأهواء الشريرة ولينخلع عن نفسه ذوباناً وهذه طريق ذات شوكة تستدعي من سالكها أن يولي تمام ٱهتمامه بالتدقيق فيها وهي طريق لا تكاد تنتهي مادام السالك حياً[1] وأما الخلوات التي لابد للصوفي أن

(١) فالصوفية وهم على أساس معتقداتهم في كونهم متقدمين على الطائفتين الأخريين من أصحاب الحديث والفقهاء، إنما يمتازون عنهم في مقامات يبلغونها بفضل هذه الرياضات على الرغم من أن هناك قناعة مؤداها أن العناية الأزلية هي التي تحدد المصير نهائياً في العالم الإنساني ولكن الطريق الصوفي المحدد المتجسّد غالباً في الرياضات يجب سلوكه لكل أحدٍ يهمّ الولوج في الطائفة وإن هؤلاء يستمسكون بعروة المرويات النبوية الوثقى إثباتاً لمرامهم كما أنّ هذه الظاهرة موجودة عند الطوائف الأخرى بيد أن الذي يلطف التدبر في مغازي الإحاديث واسنادها هو الواصل إلى الحقيقة، ففي الرسالة القشيرية في تفسير قوله تعالى: «قال اللّه ـ تعالى ـ: (ولنبلونكّم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس ...) ثم قال في آخر الآية: (وبشر الصابرين) فبشرهم بجميل الثواب على الصبر، على مقاساة الجوع وقال ـ تعالى ـ: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصه) أخبرنا علي

يختلي فيها بنفسه عبادةً للّه فتطالب من السالك أن يكرس وقتاً غير قصير، هذا بغض النظر عمّا ذهب إليه الصوفي في أ غلب الأحيان من أن علم العشق لايسعها دفتر ولا كتاب (كه علم عشق در دفتر نباشد) وعلى كلّ حال بقيت عندنا من الرّجل ثلّة من الكتب بعضها موجود وبعضها الآخر لايزال خارجاً عن متناول الأيدي، ونحن هاهنا نقدّم ثبتاً بأسماء هذه الكتب متطرّقاً لبعض ميزاتها وآلتي يوفّرها لنا السيّد أحياناً:

### ١) كتاب مجمع الأسرار ومنبع الأنوار

### وهــو في التــوحيد وأسراره وحقائقه ومايتعلق به من تعريفه وتقسيمه

بن أحمد الاهوازي... قال حدثنا محمد بن عبداللّه عن أنس بن مالك، قال جاءت فاطمة ـ رضي اللّه عنها ـ بكسر خبز لرسول اللّه(ص ) فقال ما هذه الكسرة يافاطمة، قالت: قرصاً خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أمّا أنّه أول إطعام دخل فم أبيك منذ ثلاثةِ أيام وفي بعض الروايات، جاءت فاطمة ـ رضي اللّه عنها ـ بقرص شعير ولهذا كان الجوع من صفات القوم وهو أحد أركان المجاهدة فإن أرباب السلوك تدرّجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل ووجود ينابيع الحكمة في الجوع وكثرت الروايات عنهم في ذلك».

هذا ملخص ما ذكره القشيري في الرسالة عن الجوع الذي يشكل جانباً واحداً من الجوانب المتعددة ألتي تنطوي عليها الرياضات ولا يخفى على أحد أنه كيف تأول الآية الشريفة ألتي يفهم من مدلولها الجوع الحاصل من قلة ذات اليد ولا الإجاعة المتعمدة وعلى كل،هناك أمثلة حية لهذا النمط من الجائعين «قال سهل بن عبداللّه التستري لما خلق اللّه ـ تعالى ـ العالم جعل في الشبع المعصية والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة» وبناءاً على هذا أعتقدوا أن الجميع مهما كثر قد كثرت الحكمة والعلم الناجمان منه فنسمع (وقيل كان سهل بن عبداللّه لا يأكل الطعام إلاّ في كل خمسة عشر يوماً فإذا دخل شهر رمضان كان لايأكـل حتى يرى الهـلال وكـان يفـطر كلّ ليلةٍ على الماء القراح وسمعت أبا عبداللّه الشيرازي يقول حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا الحسين بن منصور قال حدثنا داود بن معاذ... كان الحلاج بن فرافصه معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شيءٍ يأكله...) ( عبدالكريم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، بيروت، صص ٦٧ـ٦٦).

وشكوكه وشبهاته ونكاته ورموزه وإشاراته، ـ وبيان أنّه منحصر في (التوحيد) الألوهي و (التوحيد) الوجودي لاغير؛ وأنّه منقسمٌ (أيضاً) إلى (التوحيد الذاتي) و (الوصفي) و (الفعلي)، أو (التوحيد العلمي) و العيني و الحقي: وما يتبعه من بحث النبوة و الرسالة و الولاية؛ وبحث الشريعة والطريقة و الحقيقة، وبحث الاسلام و الإيمان و الإيقان؛ ـ وأمثال ذلك.

٢) رسالة الوجود في معرفة المعبود

ومـا يتعلق به (اي الوجود) من إطلاقه وبداهته ووجوبه ووحدته وظهوره وكثرته؛ ـ وإثبات أنّه (أي الوجود) واجب الوجود لذاته وممتنع العدم لذاته، وليس في الخارج غيره؛ ـ و (هو الّأول والآخر والظاهر والباطن وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ).

٣) رسالة المعاد في رجوع العباد

ومـا يتعلق به (أي المعاد) من القيامات الثلاث وتحقيقها، التي هي (القيامة) الصغرى والوسطى والكبرى؛ ـ واثبات أنّها (أي القيامات) تنقسم إلى اثني عشر قيامةً، صورية ومعنوية، بحكم التطبيق (أي المطابقة والموافقة) بين (عالم) الآفاق و (عالم) الأنفس .

٤) كتاب الأصول والأركان في تهذيب الأصحاب والأخوان

المشتمل على الأصول الخمسة الدائرة كل واحدة منها على مراتب ثلاث من الشريعة والطريقة والحقيقة؛ ـ وعلى الفروع الخمسة، الدايرة كل واحدة منها على مراتب ثلاث كذلك.

٥) رسالة العلم وتحقيقه بطريق الطوائف الثلاث

من الصوفي والحكيم والمتكلم؛ ـ وبيان موضوع

كل علم منهم ومحموله، مع مسائله ومباديه وما يتعلق بذلك من الأبحاث الدقيقة والنكات الشريفة.

٦) رسالة العقل والنفس

والفرق بينهما بحسب الكلي والجزئي، وغير ذلك من الأبحاث المتعلقة بهما.

٧) رسالة الإمامة الإلهية في تعيين الخلافة الربانية

بمقتضى قوله ـ تعالى ـ : ﴿إنّا عَرَضْنا الأَمانَةَ عَلى السَّمواتِ والأَرْضِ والجبالِ﴾ الآية؛ ـ وبيان أن (الظلومية) و (الجهولية) مدح له (أي للانسان) ليس فوقه مدح آخر، بخلاف ماظنّ الجاهل أنه مذمة في حقه.

٨) رسالة الحجب وخلاصة الكتب

في تحقيق قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثمَّ في سلسلةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً﴾ وقول نبيّه ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ: (ان للّه ـ تعالى ـ سبعين ألف حجاب من نور وظلمةٍ) ـ الحديث؛فانّ التطبيق (أي التوفيق) بين هذين القولين في غاية الصعوبة، (لا) سيّما على حسب الكلي والجزئي؛ ـ وتعبيرهما (أي القرآن والسنة) بألف سنة، وخمسين ألف سنة، وثلاث مأة ألف سنة لقولهم (أي بعض العارفين): (أنا أقل من ربّي بسنتين) ولقولهم: (ليس بيني وبين ربي فرق الآأني تقدمت بالعبودية).

٩) رسالة الفقر وتحقيق الفخر

والتطبيق (أي التوفيق) بين الأحاديث الثلاثة الواردة فيه، لقوله ـ عليه السلام ـ: (الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين) لقوله: (الفقر

سواد سواد الوجه في الدارين) ولقوله: (كاد الفقر أن يكون كفراً)

١٠) رسالة الأسماء الإلهية وتعيين المظاهر لها من الأشخاص الانسانية
من آدم إلى محمد ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ وما بينهما من الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ.

١١) رسالة النفس في معرفة الرب
بحكم قوله ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ : (من عرف نفسه فقد عرف ربّـه) وبمقتضى التنـزيل، بقـولـه ـ تعالى ـ (وهو معكم أينما كنتم)، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟)

١٢) رسالة أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة
وبيان كل واحـده (كذا) منها مع أهلها، لقوله ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ: (الشـريعـة أقـوالي و الـطريقـة أفعالي و الحقيقة أحوالي) ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿ولكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾، ولقوله ـ تعالى ـ ﴿كنتم أزواجاً ثلاثةً﴾.

١٣) رسالة الجداول الموسومة بمدارج السالكين في مراتب العارفين
المشتملة على المئـة من المقـامـات الأصولية (كذا) وعلى الألف من المراتب الفروعية (كذا)، لدوران المأة في الأقسام العشرة، عشر مراتب.

١٤) نقد النقود في معرفة الوجود
المنتخب من رسالة الوجود .

**١٥) نهاية التوحيد في بداية التجريد**
**المنتخب من مجمع الأسرار ومنبع الأنوار**

**١٦) منتقى المعاد في مرتقب العباد**
**المنتخب من كتاب المعاد**

**١٧) رسالة التنبيه في التنزيه**
**بالنسبة إلى الله.**

**١٨) أمثلة التوحيد وأبنية التجريد**
**في مقابلة اللمعات للعراقي.**

**١٩) رسالة كنز الكنوز وكشف الرموز.**

**٢٠) كتاب تعيين الأقطاب والأوتار**

وحصرهم في تسعة عشر لاغير، دون الثلاث مأة والأربعين والسبعة والثلاثة والواحد الراجعة عند التحقيق إلى التسعة عشر، ٱلتي هي الأصل في الكل». بعد أن جرّد الشيخ الآملي هذا الجزء من ثبت مصنفاته ـ بقدر ما أمدته ذاكرته في ذلك الحين ـ ختم هذا الفهرس بذكر آخر كتاب له، قبل شروعه في شرحه الكبير الذي وضعه على فصوص الحكم للشيخ ابن عربي غير أنّه ٱستطرد فذكر، فيما بين ذلك، أشياءً خاصة لها صلة بحياته في العراق وتواليفه فيها، فقال: «وأمثال ذلك (من الكتب والرسائل التي يبلغ تعدادها) إلى نحو أربعين كتاباً ورسالةً، عربية وعجمية. ثم بعد الكل، في هذه المدة

الـطويلة، ٱلتي هي ثلاثـون سنةً كاملةً (التي قضاها السيد في العراق وفي المشاهد المقدسة)» تفرغ لوضع تأويل القرآن الموسوم:

**٢١) المحيط الأعظم والطود الأشم في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم**

المرتّب على سبع مجلدات كبار، بازاء تأويـل الشيخ الأعظم **نجم الدين الـرازي** المعـروف بـ(دايه) ـ قدّس اللّه سرّه ـ فانّه رتب كتابه على سبع مجلدات كبارٍ بعد تسميته بـ(**بحر الحقائق ومنبع الدقائق**)، ونحن أردنا أن يكون لنا (كتاب) على قرنه، ومن كل الوجوه. بمقتضى الحديث الوارد فيه أيضاً: (إنّ للقرآن ظهراً وبَطناً، إلى سبعة أبطن)؛ ـ واشتماله على السبعات المعلومـة، وغـير ذلـك ممّا أوجب ترتيبه عليها. وٱشتهر ذلك (التفسير) في الأقاليم والبلدان وتحقق (كذا) صورته عند أعاظم أهل التحقيق والعرفان وتحقق بينهم أنّه عديم المثل والنظير (لا) سيّما في علوم القرآن، وأنّه ليس بكسب ولا ٱجتهادٍ؛ بل إفاضة غيبيـة، بطريق الكشف من حضرة الرحمن».

**٢٢) نص النصوص في شرح الفصوص**

جعلته هدية إلى حضرة السلطان العالم العادل، والملك الفاضل الكامل، سلطان سلاطين العرب والعجم.... ممهّد القواعد الدينية والقوانين الاسلامية على الطريق المستقيم... مطاع ايران وتوران، صاحب قرآن الأدوار والأكوان، محيي دولة جنكيز خان، أنو شروان الأوان، اسكندر الزمان... السلطان بن السلطان، القان بن القان... أحمد بها در خان...».

هذه الوثيقة الخاصّة بمؤلفات السيد على الرغم من أهميتها الكبرى يثير بعض المشاكل التاريخية بالنسبة إلى قسم من مصنفات السيد وترتيبها الزمني. ونستعرض إلى هذه المسألة المعقدة بشيء من التفصيل فيما بعد.

وفي نطاق المصادر المباشرة لشيخ آمل، يجب أن نذكر أيضاً ما عثرنا

عليه من أسماء آثار علمية له، ذكرها في كتابه جامع الأسرار ومنبع الأنوار و رسالة نقد النقود في معرفة الوجود.

إنّ كتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار وهو من أوائل تواليف السيد في العراق يذكر ثمانية كتب سابقة له وهي على حسب ترتيبها الأبجدي لاعلى حسب ورودها في الكتاب السالف الذكر:

أسرار الشريعة وأنوار الحقيقة، و أمثلة التوحيد، و جامع الحقائق، و رسالة الأركان، و رسالة الأمانه، و رسالة التنزيه، و رسالة التوحيد، وأخيراً رسالة منتخب التأويل.

امّا في رسالة نقد النقود في معرفة الوجود التي كتبها السيد في المشهد الشريف الغروي بعد كتابه الكبير جامع الأسرار فيتعرّض لذكر أربعة من آثاره العلميّة، وهي: كتاب جامع الأسرار و رسالة الأمانة ورسالة الوجود ورسالة منتخب التأويل بناءً على ماتقدّم، يكون عدد الكتب والرّسائل الّتي عرفت للشيخ الآملي، عن طريق مصنّفاته ذاتها، ستّاً وعشرين كتاباً ورسالةً. وذلك بعد حذف المكرّر منها.

# المصادر غير المباشرة لتواليف الشيخ الآملي

نقصد بذلك طائفةً من كتب التراجم والتاريخ ٱلتي تعرضت لشيخ آمل وسرد حياته وتعداد مصنفاته، نذكر منها:

كتاب الفوائد الرضوية، و معجم المؤلفين، و وإيضاح المكنون، وريحانة الأدب، و مجالس المؤمنين، و أعيان الشيعة، و روضة الجنات، و طرائق الحقائق، و الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

ومن بين الدراسات المعاصرة يجب أن ننوه بصورةٍ خاصةٍ بالأبحاث الهامّة ٱلتي ٱضطلع بها الاستاد الكبير هانري كوربن.

ومجموعة الكتب والرسائل المستخرجة من هذه المصادر غير المباشرة يبلغ تعدادها ثمانية عشر، وهي:

المحيط الأعظم في تفسير القرآن،وفص الفصوص في شرح فصوص الحكم لابن عربي، و جامع الأسرار ومنبع الأنوار، و تلخيص ٱصطلاحات الصوفية، و البحر الخضم في تفسير القرآن الكريم، و الكشكول فيما جرى على آل الرسول، و منتخب التأويل، و التأويلات، و رسالة العلوم العالية، و الأركان في فروع شرائع أهل الايمان و رسالة دافعة الخلاف، و رسالة في الأمانة، و رسالة التنزيه، و المسائل الآملية، و اصطلاحات الصوفية، و نص النصوص ، و منتخبات أنوار الشريعة.

وكذلك يكون ثبت تواليف شيخ آمل، بالنسبة إلى مصادرها المباشرة وغير المباشرة، مكوّناً من أربع وأربعين كتاباً ورسالةً. وإذا أسقطنا من هذا

المجموع ماهو مكرر أو متعدد الرواية، يكون ما نعرفه اليوم عن عدد مؤلفاته خمساً وثلاثين كتاباً ورسالة. وهذا رقم يقرب جداً ممّا يذكره الرجل نفسه في مستهل مقدماته لشرح الفصوص وفي آخرها كذلك.

# الآيات القرآنية

كلمات ربي...﴾ ص ١٠٢

١٤ ـ ﴿ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر...﴾ ص ٧٣

١٥ ـ ﴿وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً...﴾ ص ٨٧

١٦ ـ وكلاً نقص عليك من أبناء الرسل ما نثبت به فؤادك...﴾ ص ٨٧

١٧ـ ولو أنّ مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر...﴾ ص ١٠٢

١٨ ـ ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى اللّه ورسوله ثم يدركهُ الموت، فقد وقع أجره على اللّه وكان اللّه غفوراً رحيمًا...﴾ ص ٤٧

١٩ ـ ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون...﴾ ص ١٠٨

# الاشعار

## الألف

رأيت ولائــي ال طه فريضــة على رغم أهـل البعـد يورثني القربى
فما طلب المختار أجراً على الهدى بتبـليغــه إلاّ المــودّة في الـقــربى
ص ٤٥

## الدال

في كل شيء له آية تدل على أنــه واحــد
ص ٨٢

## الراء

سلطان عصــر إذا عمــت مواهــبــه
تعــذر الأجــودان الــبــحــر والمــطر
وإن بدا رأيه أوحــدّ عزمــتــه
تأخــر المــاضيان الـشـمس والـقمــر
ص ٢١
عبــاراتنـا شتى وحسنـك واحـد وكــل الى ذاك الجــمال يشــ
ص ٨٣

## العين

اولئــك آبــائــي فجئـني بمـثلهم    اذا جمعـنــا ياجــرير المجا مــع

ص ٩٧

## الكاف

تركـت الخـلق طرا في رضــاكــا    وأيتــمـت الـعيال لكـي أراكــا

فلو قطعــتــني إربــا فاربــا    لما حس الــفــؤاد الى سواكــا

ص ٣٨

## الميم

فمن منع الجهّال علمًا أضاعه    ومن منع المستجيبين فقد ظلم

ص ٩١

## النون

لقـد كنت قبـل اليوم أنكـر صاحبي    إذا لم يكــن قلبــه إلى دينــه دان

لقــد صار قلبي قابَـلًا كل صورة    فمــرعــىً لغــزلان وديراً لوهـبــان

وبـيتــاً لأوثــان وكـعبــة طائف    وألــواح توراةٍ ومــصــحــف قرآن

أدين بدين الحــب أنّــى توجـهت    ركــائــبــه فالــدين ديني وايماني

ص ٦٩

## الواو

جزى اللّه خيراً من تأمل صنعتي
وقابل مافيها من السهو بالعفو
وأصلح ما أخطئتُ فيها بفضله
وفطنته وأستغفر اللّه من سهوي

ص ٩٩

## الياء

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصوت مولى الورى مذ صوت مولائي
تركت للنّاس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك، يادِيني ودنيائي
ص ٩٦

# الأسماء والأعلام

الألف

Nas Al-Nasoos is a commentary for Ibn Arabi's Fusus. One might observe a series of certain debates through which Seyyed rejects Ibn Arabi's views: Ahl-Ul-Beit (the Family of the Prophet) is the central subject of the crisis between two men to which we made some references.

Another subject we have examined is his close relations with the rulers in his time making our paints of view clear by some notes.

Ultimately, it is a brilliant oppurtunity to remind the significance of the studies which aimed to clarify the unknown dimensions of such this figure who is well-known as a pioneer of "comperative religion" studies.

**M. J. Gohari**
**8 May, 1990**

**In the name of God**
**The Compassionate, The Merciful**

Seyyed Heydar Al-Amoli is one of the most-celebrated Sheiit Scholars in 8th century. The most distinguished characteristics of this figure is a unique agreement between Sufism and Shiism-in it's traditional mode-which has been fulfilled by him.

He was born in a family of high nobility in Amol, a well-known area in northern Iranian province Mazandaran where he received the current education of his time, then he could find his way to the courts of his contemporary rulers easily occupying many important positions like Vesarat, suddenly he came to the conclusion that he is not created to do such these very ordinary jobs and the destination of the life is more transcendant than what he had recognized earlier. Therefore, he began a spiritual journey to the Truth, he started to immigrate to Allah.

In such a way, he intended to be a Sufi while he was ranged as a Shiite traditionalist. So he could create an unbelievable synthesis upon which a successful meeting between Tasavvof and Tashayyo was held. Concerning Seyyed Heydar -for the first time- one can find a full collection of mystical ideas which have been arranged according to the shiite cosmology.

"A real sufi is not but a Sheiit and a real Sheiite is not but a Sufi" he repeated again and again.

His valuable works on both shiism and Sufism are the symbols of a school of peace established by him, in this connection, he is well-impressed by Ibn Arabi who he should not been considered a disciple of his school at all, although his

# Tasavvof of sheiism

## An Introduction to The life and Thoughts of Seyyed Heydar Al Amoli

## Mohammad Javad Gohari

Mohammad Javad Gohari
Mehr Institute
Iran.Tehran
P.O. Box : 17845 / 178